جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات النقدية والأدبية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان :

السَّريّ الرفاء حياته وشعره

إعداد الطالبة:
سلافه عبد الله عبد الرحمن عبد المجيد

إشراف الدكتور:
صلاح عبد اللطيف محمد احمد

(1434هـ / 2013م)

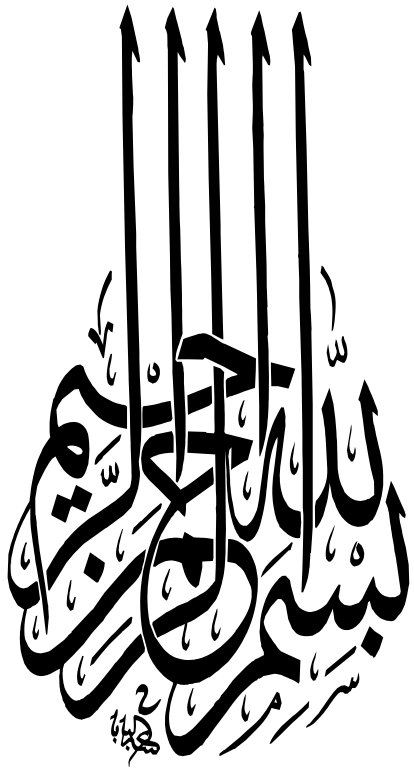

قال الله تعالى:

{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هَدَانَا اللّهُ }[٥]

صدق الله العظيم

[٥] الأعراف، آية 42.

الإهـــداء:

إلى روح أبي رحمه الله..

إلى أمي الحبيبة....

إلى زوجي..

إلى ثمرة حياتي (أبنائي)..

إلى أخواني سمؤال واحمد..

إلى إخوانـي...

إليهم جميعاً وفاءً وعرفاناً أهدي

ثمرة جهدي...

الشكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والشكر لله من قبل ومن بعد، وسبحانه وتعالى الذي أنزل في محكم تنزيله :(لَئِن شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُمْ)[1] .

الحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته وأتقنها بلطيف صنعه ودبرها بحكمته، أحمده على نعمته وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما كان لعمل إن يتح لأحد إلاّ بجهد آخرين يعينونه ويهدونه، فأوجه شكري وتقديري إلى جامعة أم درمان الإسلامية لإتاحتها لي فرصة الدراسة. كما أتقدم بشكري إلى الدكتور / **صلاح عبد اللطيف محمد أحمد** مشرف، فقد كان خير إشراف، أسأل الله أن يوفقه ويكلل حياته بالنجاح والتوفيق.

كما تمتد عبارات الوفاء للدكتور / **محمد الحسن** وكم كانت استفادتي منه عظيمة ومقدرة، والشكر إلى جميع أساتذة اللغة العربية بالكلية.

وأيضاً أخص بالشكر وحدة المكتبة المركزية، فقد كان تقديم مساعدتهم على مستوى رفيع، فلهم منا الشكر الجزيل ولكل من وقف معي فلهم مني الشكر والتقدير.

[1] سورة إبراهيم، الآية 7.

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الشاعر السّرىّ الرّفّاء(حياته وشعره).

وتأتى أهميتها فى أنها تسهم فى إبراز معالم شخصية السرى الرفاء الأدبية،وملكتة الشعرية، ولاسيما أنه كان من كبار فحول الشعر فى العصر العباسي وهو من المجموعه السيفيه(سيف الدولة الحمدانى).

ومادعانى لاختيار هذا الموضوع أن الرفاءجاء بدرر، ولكنه لم يحظ بعناية واهتمام ودراسة شاملة.

تهدف الدراسة إلى التعريف بالشاعر وعصرة،ثم بيان الأغراض الشعرية التى نظم فيها،ومكونات الصورة الفنية فى شعرة،،بجانب بيان موسيقاه الشعرية،وبناء قصائده ولغة واسلوبه

اتبعت الباحثة فى هذة الدراسة المنهج التاريخى الوصفي التحليلى

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

-نظم السرى شعره فى معظم الأغراض الشعرية،واكثرها الوصف فهو شاعر دقيق الآحساس مصور بارع.

-لعبت الصورة الفنية دوراً فى شعرة

-نظم الشاعر شعرة فى احد عشرة بحراً

-اهتم بالمحسنات البديعية كدأب اهل عصرة

-اتسم شعرة بقوة الآلفاظ الجزلة والآسلوب العذب

Abstract

This study about AlsayeAlrfaa (his life hair).
The importance comes in they contribute in highlighting personal milestones AlsayeAlrfaa literary, poetic and his queen, especially that it was top stallions hair in the Abbasid era, one of Group Asifih (Seif al-Dawla al-Hamdani).
And Madeany to choose the subject that Alrfaa wrout, but did not receive care and attention and a comprehensive study.
The study aims to introduce the poet and his time, then statement purposes noodles which systems, and technical components in hair, next to a statement his poetry, music and building his poems, language and style
Researcher followed in this study the historical descriptive analytical method
The study concluded a number of important results:
- Secret hair systems in most poetic purposes, the most precise description is a poet masterful sense photographer.
- Technical picture played a role in hair
- Poet hair systems in eleven sea
- Cares about (Almahsnat Alibdieih) manner of folks squeeze
- Characterized by a hair strongly easy words and fresh style

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على حبيبنا وقائد الغر المبجلين، وسيد المرسلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين.

منذ العصر الجاهلي بدأت العربية في الازدهار والرقي، حتى تحقق لها ذلك بفضل الإسلام، حيث نزل القرآن بلسان عربي مبين فأعطى اللغة العربية قداسة وسمواً، وكانت الدعوة إلى الله بالسيف واللسان حتى استقرت الدوله وانتشرت اللغة، فجاء العصر الأموي، الذي كان مداداً لصدر الإسلام، فتشكلت فيه الخطابة، فظهر الشعراء بجميع ألوانهم.

وفي العصر العباسي ظهر العباسيون الذين أنشأوا دولتهم التي وصفت بأنها دولة كثيرة المحاسن، جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافعة، والخيرات فيها دارّه، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة[1]. وقد أثرى شعراؤها المكتبة العربية، ورفدوها بإنتاج شعري رائع، ومن هؤلاء الشاعر السَّرِيَّ الرُّفَاء، فقد حمل لنا ديوانه كثيراً من الجديد، وتضمن الأطر القديمة، وجاء شعره زاخراً بالمعطيات الإنسانية، حيث صور لنا ما تحوى النفس وأحوالها ورسم بنظمه ألوان الحياة، فهو شاعر ذاع صيته في الصر العباسي، واستطاع أن يقدم لنا فيض شعرٍ جميلٍ لا يقل كثيراً عن معاصريه، وكان لأغراضه الشعرية وقوافيه وأوزانه تمثيلاً فنياً. إذ أن شعره وعاء ثقافته ومستوى تفكيره وخير دليل على إبداعه، وإخراج هذه الدُرَر التي نثر شذاها فآثرت أن أختار حياته وشعره لموضوع بحثي هذا.

---

[1] الفخري في الآداب السلطانية. ابن طباطبا، دار صادر، بيروت: 1966م.

دوافع اختيار الموضوع:

لعلّ من أهم دوافع اختياري لديوان السَّرى إعجابي بهذا الديوان. فقد رأيتـــه حافلاً وثيراً ومن خلال دراسته أبرز شخصية الشاعر ومكانته الأدبية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق أهداف هي:

1- التعريف بالشاعر وعصره وبيئته التي أحاطت به.

2- دراسة الأغراض الشعرية التي نظم فيها.

3- بيان إسهام الصورة الفنية ودورها في شعره.

منهج البحث:

المنهج المتبع هو: التاريخي ــ الوصفي ــ التحليلي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من: مقدمة ، ثلاثة فصول ، وخاتمة، ونتائج، وتوصيات.

ترتيبها كالآتي:

الفصل الأول : عصر الشاعر والتعريف به:

ويشتمل على ست مباحث:

المبحث الأول : الحياة السياسية.

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث : الحياة الثقافية.

المبحث الرابع : التعريف بالشاعر.

المبحث الخامس : العلاقة بينه وبين الخالديين.

المبحث السادس : الحنين إلى الموطن.

الفصل الثاني : الأغراض الشعرية:

المبحث الأول : الوصف

المبحث الثاني : المدح

المبحث الثالث : الغزل

المبحث الرابع : اللهو والمجون

المبحث الخامس : الهجاء

المبحث السادس : الرثاء

المبحث السابع : أشياء أخرى.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

المبحث الأول: مفهوم الصورة الفنية فى شعر الرفاء

المبحث الثاني: الموسيقى الشعرية

المبحث الثالث: بناء القصيدة

المبحث الرابع : اللغة والأسلوب

الفصل الأول
عـصر الشـاعر والتعريف به

المبحث الأول : الحياة السياسية

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية
المبحث الثالث : الحياة الثقافية
المبحث الرابع : التعريف بالشاعر
البحث الخامس : العلاقة بينه وبين الخالدين
المبحث السادس: الحنين إلى الموطن

المبـــحث الأول
الحـــياة الســـياسية

الدولة العباسية هي تلك الدولة التي أقامها بنو العباس ومعاونوهم من عجم وبعض القبائل الناقمة على بني أمية، نادى العباسيون إلى تكوين دولتهم سراً في البدء، معتمدين على أنهم أصحاب حق في الخلافة، وظلوا يطالبون، بإسقاط الدولة الأموية والثأر منهم وكان الأمر الظاهر هو مبايعة آل البيت (العلويين) وهم أبناء عمومه لهم. فنشطت الثورة العباسية المشتركة، بينهم وبين آل البيت، فجود العلويين جذب الناس ودفعهم إلى قيام الثورة, ومما وساعد على إثمار الأمر أن الأمويين قد بالغوا في شدتهم وتعصـــبهم للعرب مع الإذلال للطوائف الأخرى[1].

وبعد القضاء على الدولة الأموية والفتك بهم فتكاً ذريعاً أعلن العباسيون قيام دولتهم (132هـــ) بمبايعة أبي العباس (السفاح)[*] وقالوا قولتهم المشهـــورة (رد عليـــنا حقـــنا) وأخـــذوا البيعـــة لأنفســـهم دون العلويين[2].

وبدأوا في تكوين دولتهم وتوطيدها باستخدام الشدة على الشعب وتقريب العلماء والفقهاء لتمكينهم بالحكم والاستعانة بهم في تثبيت الخلافة.

---

(1) تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضـــل، دار المعـــارف ، القاهرة، ط3 ، ج4- ص421.

(*)السفاح: هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح، ولي يوم الجمعـــة 132هـــ، هو أول عباسي تولى الخلافة، تحول من الحيرة إلى الأنبار سنة 134هـــ، توفى ســـنة 136هـــ، وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر، وأمه بنت حارث، انظر تاريخ الأمم الأرامية، محمد حضري بك، المكتبة التجارية، بمصر، ص46.

(2) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، بالقاهرة، ط2، 1996م، ص 12 وما بعدها.

ووقع الاختيار على بغداد لتكون، مركزاً آمنا والبعد بها عن العلويين وسميت بعد ذلك بـــ(دار السلام) وأصبحت من أهم المدن في العالم العربي الإسلامـــي، تعتـــبر مركـــزاً للتجارة، والصناعة، وساحة للعلماء والأدباء[1].

إذن رسخت قواعد الدولة على هذا الوضع، معتمدة على أيدي العجم[2]، وخاصة الفرس، وهذا الاعتماد له الأثر الكبير في تشكيل الحياة السياسية والحياة عامة.

فأصبحت الدولة العباسية متأثرة بالنظام الساسانى في كثير من أمورها مثلاً في نظام الوزارة، على الرغم من أن كلمة وزير عربية ووردت في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾[3] وتعني المساعدة والمؤازرة.

نمت الدولة واتسعت فقد امتدت (من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً والمحيط الهندي والسودان جنوباً إلى بلاد الترك والروم، عاشت أجناس هذه المناطق تحمل التعدد في النوع، واللغة والثقافة، فانصهرت وتبلورت في بؤرة عربية[4].

وتبعاً لهذا التوسع، فقد ظهر العلماء، والأدباء والشعراء والفلاسفة، والأطباء؛ مما أدى إلى اتساع آفاق الفكر الإسلامي حيث تكونت المعاجم اللغوية، وكثرت المكتبات[5].

وأولوا الترجمة اهتماماً كبيراً، فمثلاً ترجمت كتب اليونان وغيرها.

ومن أحسن ما امتاز به هذا العصر الاهتمام بالحديث الشريف ووضعت علومه[6].

---

(1) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف ص 23.

(2) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية: بشير رمضان التيلس، جمال هاشم، دار المـــدار الإســـلامي، ط1، بيروت، لبنان، ص74.

(3) سورة طه، الآية 29.

(4) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف ، ص89.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم، مكتبة النهضة العربيـــة بالقـــاهرة، 1965م، ط3، ج3، ص332.

(6) الفهرست: لابن النديم. دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية، 1997م، ص 212.

واتسعت الدولة حتى صارت ممتدة وأصبح لها مطامع خارجية وداخلية، وظلت الخلافة تتداول بين بني العباس ففي عهد بعضهم رخاء وثبات للأمر وفي عهد بعض ضعف وتفكك، والخلافة بين مكايد ودسائس، وولًى خليفة وخلع الآخر، وأيدي العجم لها الدور الأكبر[1].

فصور لنا الشعراء هذه الأوضاع، انظر إلى قول ابن المعتز:

وَكُـــلَّ يَـــومٍ مَلِـــكٌ مَقتـــولٌ أَو خـــائِفٌ مُـــرَوَّعٌ ذَلَيـــلُ(2)

وقال آخر:

خليفـــــة فـــــي قفـــــص بـــــين وصـــــيف وبغـــــا

يقـــول مـــا قـــالا لـــه كمـــا تقـــول الببغـــا[3]

وصور لنا دعبل الخزاعى أمرهم قائلاً.

لَقَد ضاعَ أَمرُ الناسِ إِذ ساسَ مُلكَهُم وَصَيفٌ وَأَشناسٌ وَقَد عَظُمَ الكَربُ[4]

وظهرت عادات لم تعرفها العرب من قبل كسمل العينين الذي حدث للمعتضد الملقب بالقاهر[5]، ومن خلال هذه الأوضاع بدأ وضع الدولة في تصدع وانقسام وانهيار حتى بغداد المركز، وقعت فريسة في أيدي البوهيين[*] سنة 33هـ[6].

---

(1) تاريخ الإسلامي: حسن إبراهيم ، ج3/ص315

(2) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكرى، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى 1995م.

(3) مروج الذهب: المسعودي ,تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بمصـــر الطبعـــة الرابعة 1964م,ج4,ص61.

(4) ديوان دعبل الخزاعي ,مجيد طراد , دار الثقافة ببيروت ص88.

(5) تاريخ الخلفاء: السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين، دار الثقافة ببيروت ,ص 18 .

*البوهيين يرجع نسبهم للساسان دخلوا بغداد واستولوا على أمرها وأمر خليفتها، عملوا على أضعاف الإمارة الحمدانية ,وفي عهدهم كان الاهتمام بالأدب والعلم , إلا أنهم زرعوا الفتن في العراق وساد الفساد . انظر: تاريخ الأدب ادوارد براون ، ترجمة احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت ، ط2، ج3– ص231

(6) حسين أمين: حصار بغداد في العصر العباسي ,المورد ,مج 23 ,ع2,1995,ص9.

ومع انقسام الدولة إلى دويلات أو إمارات إلا أن هذا ساعد على ازدهار الأدب[1]، لنرى مثلاً من هذه الأمارات والدول إمارة بني حمدان التي ظلّل سماءها الشاعر السري الرفاء.

بنو حمدان من قبيلة عربية الأصل من قبائل ربيعة[2]، وهي قبيلة كبيرة وقد قيل فيها (لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت تغلب العرب)[3]، وقيل عنهم (كان بنو حمدان ملوكاً، وأمراء، ألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة المشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم، كان غرة الزمان، وسداداً للثغور ومطلع الجود، ومحط الرحال، وموسم الأدباء والشعراء)[4].

يقول فيهم ابنهم أبو فراس الحمداني:

وَقَد عَلِمَت رَبيعَــةُ بَــل نِــزارٌ بأنا الرأس والناس الذنابى[5]

وقال عنهم :

لَنا أَوَّلٌ في المَكرُمــاتِ وَآخِــرٌ وبــاطن مجــد تغلبــى وظــاهر

ويقول السري الرفاء فيهم:

حسْبُ الأراقمِ إذ أنــتُم ذوائبُهــا وهيَ الذَّوائبُ في الأَحسابِ والقِلَلُ[6]

هذه هي حال الحمدانيين ومؤسسها الأول هو أبو الهيجاء(*) والد الأمير سيف الدولة ، كانت في الموصل وحلب منذ (293هـ ـ 90م) ، وامتدت من

---

(1) تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ ، دار الملايين لبنان - ط1 1968م-ج2-ص33

(2) معجم القبائل: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ,ط1 ،,ج1، ص93.

(3) ديوان أبو فراس الحمداني، عبد الجليل حسن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1981م، ص17.

(4) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ج3، ص 129.

(5) ديوان أبو فراس الحمداني. ، ص 9.

(6) ديوان السَّريِّ الرَّفاء، ص 353.

(*) أبو الهجاء : هو عبد الله بن حمدان بن عطية البكري الحجازي المؤسس الأول للإمارة الحمدانية سير إعلام النبلاء , الذهبي مؤسسة الرسالة ببيروت 1410,ج7,ج19,ص271

الموصل حتى تكريت ومن حانه على الفرات حتى البحر المتوسط مشكله خطاً مستوياً يمر جنـــوب حمص، وشكـــلت هذه الإمارة سداً منيعاً أمام أطماع الروم[1].

ولكن رغم هذا النجاح وعظمة هذه الدولة ، فالمتتبع للتاريخ كأين من حضارة علت وسمت لابد من نهاية، فهي طبيعة الدنيا خلقت لتداول بين الناس وحقيقة الأمر وما أثبته التاريخ أن الدولة العباسية على الرغم ما حدث بها من تغير سلبي أو إيجابي فقد شيدت حضارة إسلامية عربية شهدت لها الدنيا، لكن ضعفت الدولة وتفرقت الأمة فضاع أمرها وبعد هذا العرض القليل لفترة طويلة للحكم العباسي، نشير إلى أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة، وهي سيطرة العجم من (فرس، وترك، وغيرهم) على الأمور فى الدولة، وانغماس الخلفاء في اللهو والعبث والمجون، فكانت الدولة تعم فيها الفوضى، فأموالها تختلس وتنهب، وكذلك غلبت النساء على الحكم، وقيام الثورات الداخلية، مثل ثورة القرامطة[*]، وبهذه الأوضاع تصدعت أركان الدولة، وآلت الدولة العباسية إلى المغول من سنة656هـــ [2].

---

(1) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: مصطفى شكعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص72.

(*) القرامطة

هى فرقة ضالة من فرق الإسماعيلية بنسبه إلى حمدان بن الأشعث والذي عرف بقرمط لأنه كان قصيراً، ظهر في العراق نحو 258هـــ ، وأسس دعوته عام 294هـــ، وهو من طائفة من الباطنية أظهروا التشيع ثم ادعوا أن الناس شركاء في كل شيء، استولوا على مكة عام 317هـــ زال ملكهـــم على يد السلاجقة. المعجم الإسلامي، طة أبو الدهب، دار الشروق، القاهرة,ط،1423هـــ ، ص 467.

(2) العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف ,ص17.

المبــحث الثاني
الحــياة الاجتــماعية

أخذت الحياة الاجتماعية العباسية طابعاً غير الذي كان في العصر الأموي، وظلت في تطور خلال هذا العصر العباسي الطويل الذي نجد أن الحياة الاجتماعية مرتبط بما حدث في الحكم والحياة السياسية، فقد تشكل مجتمعًا جديداً عربياً ممزوجاً بالأجناس الأجنبية.

وعاش هذا المجتمع العباسي منقسماً إلى ثلاث طبقات كما وصفه شوقي ضيف: (عليا، ووسطى ــ وعامة)[1]. وتبعاً لهذا التقسيم، كانت حياة الترف والبذخ مقصورة للطبقة الأولى، وهم الخلفاء، والأمراء، والوزراء، وكبار الكتاب، وهذه الحياة التي عاشها هؤلاء أشبه بالأساطير[2]. فقد اهتموا بالسكن الفاخر وبالملابس الفاخرة المطرزة بالذهب والفضة، واهتموا بالطعام وتفننوا فيه[3].

ونضرب مثالاً لهذا الترف، يقال إن زبيدة زوجة الرشيد (أنها أول من اتخذ الآنية من الذهب والفضــة المكللة بالجواهــر) [4]. فقد استخدمتها كآوانٍ. وكل هذا الترف راجع إلى خزائن الدولة فهي المعين الغدق الذي هيأ لهم وضع هذه الحياة، فقد كانت يحمل إليها الذهب والفضة من أطراف الأرض[5].

---

(1) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف ,ص53

(2) أمراء الشعر العربي: أنيس المقدس، دار العلم للملايين، بيروت 1967م ، ط3:ص

(3) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: آدم متز ,محمد عبد الهادي القــاهرة 1941م، ج2,ص164 فقد عرفوا الطعام وتفننوا فيه وعرفوا التوابل والتحميض لحفظة، وبلغوا فيه شأن لم يكن معروفاً من قبل .

(4) مروج الذهب: المسعودي، ج4,ص595

(5) المصدر نفسه، ص 516.

وقيل : بلغوا مبلغاً من الترف والبذخ جعلهم يبنون القصور بغرف على عدد أيام السنة[1].

أما صغار الكتاب والموظفين والشعراء والأدباء وغيرهم من التجار والصناع، تعيش عيشة فيها كثير من السعة، وهي مرتبطة بما في القصور، مما يجدون من عطايا وهبات[2].

وهناك طبقة دنيا أو عامة ككل العصور التي مرت على البشرية هم يهيئون أسباب العيش للطبقات سالفة الذكر، فهم الذين ينهضون بالعمل، وكانت حياتهم مع العباسيين قاسية بائسة، حيث كان الفقر والغلاء يطحنهم في كثير من الأزمان. يقال: (بلغ الغلاء حداً أكل الناس فيه الميتة وامتلأت الطرقات بالموتى) [3].

يضاف إلى ذلك آخرين شكلوا أثراً واضحاً في المجتمع وهم أهل الذمة، والنصارى، واليهود وكانوا يتمتعون بالتسامح الذي كفل لهم حياتهم.

وكذلك وجود الرقيق وهم طبقة من أسرى الحرب كان لهم شارع ببغداد خاص بهم، لم يعاملوا بامتهان والدليل أغلب أمهات الخلفاء والأمراء تكون فارسية أو تركية وغير ذلك، عاش هؤلاء وفيهم من يحمل البغض والكراهية للعرب[4]، وكان لهذا البغض أثر في إشعال الثورات.

---

(1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري الاتباكي , وزارة الثقافة بمصر ,ج4, ص198

(2) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص47.

(3) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ج2، ص324.

(4) المصدر السابق، ص125.

ومن هؤلاء ما يســمون بالشعوبية[1]، انظر إلى ما قاله أبو نواس[*] للرقاشي[*]:

ما الَّــذي نَحّــاكَ عَــن أَصـــــ لِـــــكَ مِـــــن عَـــــمٍّ وَخـــــالِ
قـــالَ لـــي قَـــد كُنـــتُ مَـــولىً زَمَنـــــاً ثُـــــمَّ بَـــــدا لـــــي

مع ذلك كان ينسبون أنفسهم أنساباً عربية مثل أبو تمام (حبيب بن أوس).

وعاش المجتمع الجديد وهو يحمل في طياته ما جاء به العجم وما حفظه من قديم فأصبح التغيير واضحا على كل نواحي الحياة[2].

ونقول عنة كما وصفة صاحب ظهر الإسلام قائلاً أصبحت حياتهم (جنة ونارــ نعيم مفرط وبؤس مفرط)[3]

---

(1) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها: صـــالح بيلـــو، مكـــة المكرمـــة 1988م، ط1، ص180.

(*) أبو نواس: هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، ولد سنة 145هـــ بالأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، وتوفى بها سنة 196هـــ،من آثاره ديوان شـــعر، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق يوسف على طويل ومريم قاســـم طويـــل، دار الكتـــب العلمية ببيروت، ط1 ،1419هـــ ,1998، ج2، ص 78

(*) الرقاشي : هو ابن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، أديب، شاعر، اختص بنقـــل الكتـــب المنشورة إلى الشعر المزدوج منها كليلة ودمنة، وله قصائد سماها ذات الحلل، وقد عـــاش فـــي القرن الثاني الهجري، انظر: معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسســـة الرســـالة ببيـــروت ،ط 1414هـــ ــ 1993م.

(2) التيارات الأجنبيـــة في الشعـــر العربي ، عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 23.

(3) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية، ط6، ج1، ص 90.

المبـحث الثالث
الحـــياة الثـقافية

بعد أن استقرت الدولة العباسية، اتجه الخلفاء إلى الاهتمام بالعلم والعلماء والعلوم كافة، وتميز القرن الرابع الهجري بنمو حركة ثقافية أدبية، حتى سمي بقرن الثقافة، والسبب الأول في تسميته بهذا الاسم هو ما ورثه هذا القرن من ثقافات أخرى، وثانٍ هو اهتمام الخلفاء الواسع بجانب الترجمة والتدوين، حيث تم تدوين الحديث واللغة والشعر والتاريخ فكان العصر عصر تسجيل للتراث وتدوينه في مؤلفات "تنقل على السطور ما كان يجري على الألسنة، وما كانت تحوي الصدور من ألوان المعرفة التي تقف عند ألوان الثقافة العربية، وقد احتفظ الخلفاء بأعظم خصائص العروبة، وهي حب الشعر وتقدير غرر الكلام والقدرة على تمييز جيده عن رديئة، ونقد ألفاظه ومعانية لسلاسة حاستهم الفنية وأذواقهم المرهفة [1].

وكذلك انقسام الدولة وظهور دويلات مستقلة ساعد على ظهور بيئات متعددة، وهذا التعدد أدى إلى وجود تنافس بين الأدباء والمفكرين[2]. ورغم الاضطراب السياسي والتفتت نجد أن الأدب سعد بذلك ونضج الفكر، بما وجد من ثقافات نقلت إلى العربية[3]، فقد كانت الترجمة لتلك الثقافات في الفترات الأولى من قبل تم نضوجها في العصر العباسي الثاني فهذا له أثر كبير في الأدب واللغة وغيرهما، وبسبب هذه الترجمة أصبح التمحيص والنقد يتقدم قليلاً قليلاً .

---

(1) نفح الطيب، أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج1، ص394.

(2) الدولة الحمدانية في الموصل، مصطفى شعكه، المكتبة التاريخيـــة ,القـــاهرة 1959م، ج1، ص 359.

(3) العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 31.

فلقد كان الاهتمام الكبير بالترجمة خاصة في عهد المأمون، وفي هذه الفترة تمّ تطور دار الحكمة فكانت مركزاً علمياً كبيراً[1]، وأقيمت مراكز أخرى أدت إلى سمو الحياة العقلية الفكرية كما كانت في البصرة ويقال إن: "للبصرة دوراً كبيراً في نشر الحياة العقلية عن طريق دورها المتعددة ومساجدها وحلقاتها الكثيرة [2].

وقد قيل: (أن العرب انتهوا من ترجمة الثقافة اليونانية وغيرها إلى العربية مثل ما في موسوعات الفارابي – ثم خلص دور الترجمة ودخل طور الاستساغة والاشتراك في المجهود العقلي)[3].

وعلى الرغم من وجود الترجمة إلا أن هناك ضعفاً يؤثر في الأدب، لعدم التلاؤم بين الحياة العربية والحياة الوافدة اجتماعياً ودينياً، حيث أن العرب كانوا يعتدون بما لديهم ويرونه الكمال ولكن أصبح التأثير في الخيال اللطيف، والتغبير الدقيق وعمق الإحساس، وإن الثقافات هذه كانت منبعاً استمدت منه العربية ووسعت مادتها[4].

هذا الاهتمام بالأدب، وكافة العلوم أدى إلى ظهور فلاسفة، وعلماء وأدباء، وظهر نشاط واسع في الشعر، وأحاط الشعراء بذخائر فكرية جديدة متنوعة[5]. ولقد جاء الوصف لحالة هذا العصر: "فقد كان فيه ضروب شتى من التفكير، وضروب شتى من البحث. وقد كان فيه ولوع بالمعرفة وانصراف إلى العلوم والفنون في قوة وإيمان"[5].

---

(1) الحياة الأدبية في البصرة : احمد زكي , دار المعارف بمصر 1971م,ص33

(2) الفن ومذاهبه، شوقي ضيف: دار المعارف ــ القاهرة ط6، 1968م، ص222.

(3) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ص403-404.

(4) العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف، ص6 وما بعدها.

(5) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه أحمد إبراهيم، دار الحكمة بيروت، ص111.

مع وجود جانب المنير للترجمة، عمدت طائفة ممّن يسمون بالشعوبية "العجم" إلى استغلال الفرصة، فعمدوا إلى تشويه الثقافة العربية، وينسبون الشعر إلى غير قائله، ويترجمون الكتب على عقائدهم القديمة مثل المانويه والمزدكيه[1]، وليست هذه الأفكار والمعتقدات في الفكر الإسلامي ، وقد تطلب هذا جهداً كبيراً من علماء المسلمين فاتخذوا بالغ الدقة والصرامة لبيان الصحيح من الزائف وهذا النظام هو نظام التوثيق[2].

إذن نهض الأدب في العصر العباسي بتشجيع الخلفاء، حيث بنوا المراكز وأقاموا الحلقات والمناقشات في قصورهم فمنهم شعراء فحظي الشعر بنصيب وافر عندهم[3].

---

(1) الثقافات الأجنبية، صالح بيلو ــ ص 31 وما بعدها.

(2) الرؤية والفن في الشعر، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة ــ 1994م، ط1، ص 122.

(3) ملامح الأدب في العصر العباسي، عبد الهادي عبد الله عطية، جامعة الإسكندرية، مكتبة المعرفة، ص 48 وما بعدها.

المبحث الرابع
التعريف بالشاعر

اسمه :

السَّرِيِّ بن أحمد الكندي الرفاء الموصلي.

كنيته:

يكنى أبو الحسن.

لقبه:

الرَّفاء. كان يرفو الثياب فعرف بالرفاء.

وقال إن إعسار حاله اضطره إلى أن يتخذ الرفو مهنه، وأن يكون في سوق الرفائين[1]، وله حديث مع الإبرة وإنها على حد ما كفلته.

قائلاً:

يُنبيكَ عن صِحَّةِ أخباري ... عُسري من العِشقِ وإيساري

وسُوقَةٌ أفضلُهم مُرتَدٍ ... نَقْصاً ففخري بينَهم عاري

وكانتِ الإبرَةُ فيما مضَى ... صائنةً وجهي وأشعاري

فأصبحَ الرِّزقُ بها ضيِّقاً ... كأنَّه من ثُقبِها جاري[2]

ميلاده:

لم يذكر أحد تاريخ ميلاده، ولم أعثر على كتاب يشير إلى تاريخ ميلاده، وأشعاره ، لم يذكر تاريخها أي غير محددة بزمن لنفترض تاريخ مولده ، غير أن ما جاء في الديوان وأثبتته كثير من الكتب أنه عاش في بلاط سيف الدولة، إذن عاش في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية الرابع الهجري

---

(1) يتيمه الدهر: لأبي منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، المكتبة التجارية، مطبعة حجازي، القاهرة، ج2، ص137.

(2) الديوان: ص235.

، وأكدت المراجع أنه من الموصل[1]، ولد بها ولم أجد نسبه كاملاً، كل الذي أمدتنا الكتب به ووضحه شعره أنه عربي من قبائل كنده اليمنية من أصل بني النجار، هاجروا إلى العراق[2].

قال في قصيدة يرثي فيها آباءه وأجداده:

كَرُّ الخُطوبِ على الفَوارِسْ وطِلابُها الصِّيدِ الأشاوِس
والدَّهرُ يطرُقُ بالفوا دحِ أو يُصَبِّحُ بالدَّهارِس
غازٍ يُظَفَّرُ بالنُّفو سِ وبالذَّخيراتِ النَّفائِسْ
أردَى مَقاوِلَ تُبَّعٍ وسَطَا على أحرارِ فارسْ
غاداهُمُ مَتَنَمِّراً فغدَتْ سُعودُهُمُ مَناحِسْ
وملوكَ كِنْدَةَ حَطَّ عن تلك الأسِرَّةِ والقَرابِس[3]

كعادة الشعراء لم ينس أن يفخر بأجداده الذين ينتمون إلى قبيلة كندا اليمنية وهذا الفخر يجمل به شعره كما يفعل سلفه من الشعراء.

نشأته:

نشأ في أسرة فقيرة، ليس في شعره ما يشير إلى أسرته وعشيرته كما معروف عند العرب، ولم يذكر زوجه ولا أولاد وفي شعره اقتباس من

---

(1) يتيمة الدهر: ج2، ص137. وشذرات الذهب، لابن عماد، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، ط1، ج3، وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1960م، ج3، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ، مصطفى عطا، ط1، دار الكتب العلمية، 1997م، ج9، ص 193.

(2) ديوان المحب والمحبوب والمشروب والمشموم: مصبحا غلاونجي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ص6.

(3) الديوان، ص258،

الأشاوس: المرتفع.

الدهارس: مفردها دهرس وهي الدواهي.

المقاول، ملوك حمير.

القرآن الكريم ما يؤكد أنه أسلم أو نشأ نشأة دينية[1] وتكرر الباحثة أن كل ذلك مقتبس مما ذكره في شعرة حيث إنه لم يتطرق إلى حياته بالتفصيل.

قال عن نفسه :

فلو أنـــي هَمَمْـــتُ بقُـــبحِ فِعْـــلِ لدَى الإغفاء أيَقَظنـــي العَفـــاف[2]

فهو حياته للهو والطرب ومعاقرة الخمر حتى أصبح يُبعدْ عن ما يذكره بالآخرة. ففي رأى إنه يدعي هذه العفة.

قال في آل البيت:

وجـــــدنا حـــــبكم ســـــبباً يَرضي الإله به عنّا ويرضـــينا[3]

عاش في بلاط سيف الدولة[*]، ولكن ليس له علاقات مع كبار رجال الدولة ولا نفوذ مثل المتنبي وغيره من الشعراء الذين ظلهم بلاط الأمير يقال أنه كان يتمنى مكانة المتنبي وهذا دأب من معه يتشوقون إلى هذا الحظ قال مرة: للأمير سيف الدولة الحمداني إن شئت جاريت المتنبي فإعطاه الأميرقصيدةالمتنبى التى ورد فيها هذا البيت.

إذا شاءَ أَن يَلهو بِلِحيَـــةِ أَحمَـــقٍ أَراهُ غُباري ثُمَّ قالَ لَـــهُ اِلحَـــق[4]

فعرف السري أن الأمير ما أراد به إلا هذا.

لكن له علاقات إنسانية طيبة مع أصحابه وبعض أصحاب المهن والحـــرف ، وبعض الكتـــاب وكبارهم، ويقال أنه كان معجباً بالشاعر

---

(1) يتيمة الدهر: للثعالبي، ج2، ص 18.

(2) الديوان، ص 310.

(3) المصدر نفسه ,ص453

(*) سيف الدولة الحمداني: هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، يكنى أبا الحسن، وهو أمير، ولد في (ميارفافين) بديار بكر سنة 253، ملك حلب وتوفى سنة.363 ه

الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلمين للملايين ببيروت، ط1، ج4، ص 303.

(4) ديوان المتنبي:تحقيق– يحي الشافعي، دار الفكر العربي ببيروت ,ط1 1997,ص198

كشاجم(*) إذ كان آنذاك ريحانه الأدب وأعجب بالصنوبري(*) شاعر الطبيعة الأول ونهج نهجهما[1].

مدح الحمدانيين وأميرهم، وعاش بحلب، فسعد حاله ولكن هناك من حال دون ذلك.

ومدحه للأمير سيف الدولة من أجل التكسب كما معروف ؟ أم إعجابه بالفارس العربي سداد الثغور. وهذه صفات محببة لكل عربي.

قال مادحاً لهم:

قَومٌ إذا اسْـوَدَّ الزَّمـانُ غَـدَتْ أَيمـانُهُم بفِعـالِهِم غُـرَّا
سـادوا وسـادَهمُ أبـو حَسَـنٍ بِعُلـىً تَـزِينُ الـنَّظمَ والنَّثـرا
مَلِـكٌ إذا اسـتُلَّتْ صَـوارِمُه ذهَبـتْ دمـاءُ عِداتِـهِ هَـدرا

وعندما ساء موقفه، وتعكر صفوه في حلب ترك هذا كله وقصد العراق حيث الوزير المهلبي(*) آملاً أن يسعد بقربه قال فيه:

أساءَ إلينا الدهرُ يا ابـنَ محمـدٍ فلمـا تنافَرنـا إليـك تجنَّبـا
دعوتَ إلى الجَدوى ومثلُك مَنْ دعا بِ: حَيَّ على ماءِ الحيـاةِ فثوَّبـا
فما بَعُدَتْ نُعماكَ عن ذي قَرابَـةٍ ولا جَانَبَتْ مِنْ سائرِ الناس أجنَبـا
لِيَصْدُرَ عنكَ الشِّعرُ مالاً مسوَّماً إذا نحـنُ أوردنـاه دُرّاً مُثَقَّبـا[2]

(*) كشاجم هو محمود بن الحسين ابو الفتح الرملى ، شاعر،عاش بحلب،وكان من الشعراء الحمـدانيين لـه ديوان شعر ، توفى 360هـ. الأعلام، للزركلى، ج7ص 167.

(*) الصنوبرى هو أحمد بن محمد بن مرار الضبى ، شاعر سكن حلب ودمشق عاش فى ظلال أمير حلـب سيف الدولة له ديوان شعر توفى334هـ. معجم المؤلفين ، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ج1،ص258

(1) يتيمة الدهر، للثعالبي، ج2، ص 118.

(*) الوزير المهلبي :هو أبو الحسن محمد بن هارون كان وزيرا تولى الوزارة سنة 339ه في بغداد انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ,ج2,ص105

(2) الديوان ,ص212

عاش ببغداد وآثر فيها شيئاً من الحسن وسعد حاله قليلاً ولكن لم يدم هذا طويلاً فكان فيها غريب دار فحن إلى داره ومسقط رأسه.

يقول:

كيفَ خَلاصي من العِراق وقــد آثــرتُ فيهــا مَعــادِنَ الكَــرَمِ
رَأَيْتُ فيهــا خَلاعَــةً وصُــلَتْ أطرافُهــا بــالعلومِ والحِكَــمِ[1]

وتارة قائلاً:

أَ أَقعُدُ بــالعراق أســيرَ دَهْــرٍ غريبــــــاً لا أزورُ ولا أُزارُ[2]

عمله:

انتقل من رفو الثياب إلى تطريز الكتاب يورق وينسخ الشعر وهذا المجــال بــلا شــك ســاعده في إنمــاء موهبتــه حيث أنه كان مولعاً بالشعر من صغره[3].

والحديث عن السري الرفاء فهوشاعر عذب الألفاظ، دقيق الإحساس، مشغوفاً بمفاتن الطبيعة، وصف مجالس الشرب، والسفن الراكدة، ووصف الصيد في البر والماء، وصف الأزهار، وكل ما احتوته الطبيعة آنذاك. وشعره موسيقي جميل، حسن الانسجام، وألفاظه رقيقه عذبه، ويقال أنه جامع نظم عقود الدر، شاعر مجود، حسن المعاني وما أعذب بحره، وأصفى قطره.

---

(1) الديوان, ص412

(2) المصدر نفسة , ص218

(3) يتيمة الدهر، ج2، ص137.

وقال عنه العسكري[*]: (ليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه) [1]. وقيل إن شعره سار في آفاق البلاد في خرسان وسائر البلدان[2].

آثاره:

له ديوان شعر حصرت فيه هذه الدراسة قدمه وشرحه كرم البستاني، و ناهد جعفر وطبعته دار صادر – بيروت 1996م– احتوى الديوان 449 من قصيدة ومقطوعة. وله ديوان المحب والمحبوب والمشروب والمشموم تحقيق مصباح غلاونجي – دار الجيل ــ لبنان، ومقسم على أربعة أجزاء.

ويقال له مخطوطات ببرلين، وكتاب الديرة، وأكد ابن خلكان قائلا: "قد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلاثمائة ورقة وزاد فيه"[3].

(*) ابو هلال : هو الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، اللغوي الأديب، من آثاره كتاب الأوائل وكتاب الصناعتين، توفى في حدود سنة 400هـ، انظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث 1406هـ ــ 1986م، ص 96، وأنباء الرواة على أبناء النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1369هـ ــ 1950م، 183/4.

(1) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م. ص:

(2) عصر الدول والإمارات ، شوقي ضيف،دار المعارف،القاهرة ،الطبعة الرابعة ،ص 364–365.

(3) وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ج2، ص300.

وفاته:

وكما ذكرت الباحثة من قبل، إن تاريخ ميلادة غير معلوم،وغير موثق،وكذلك فأن وفاتة كانت مجهولة.

كذلك مشكوك في السنة التي توفي فيها، قال ابن كثير توفي سنة ستين وثلاثمائة، (1) وقال ابن خلكان توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة (2) .

---

(1) البابة والنهاية أبو الفداء حافظ إبن كثير ، تحقيق احمد جاد ، دار الحديث ،بالقاهرة ط6 ،ج 11 ص262 .

(2) وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ج2، ص300.

المبـحث الخامس
العلاقة بينه وبين الخالديين

كان لابد من التطرق إلى هذه العلاقة والخلاف الكبير الذي نشب بين الرفاء والخالديين(*) ومدى تأثيره على حياته .

فإن الشاعر الرَّفَّاء والخالديين أبناء الموصل –هل هذا له أثر في الخلاف، أم هناك السبب الذي رجحه الكثيرين، وهو ما دار في بلاط سيف الدولة الحمداني، كان الخالديان خازني كتب الأمير، والشاعر الرفاء ظله هذا البلاط، ففعلت المنافسة فعلها بينهم فساءت العلاقة.

حيث إن السري اتهمهم بسرقة شعره وشعر غيره وصار يهجوهما ويهجوانه[1]، وقد ذكر الثعالبي أنه قرأ نسخه من شعر السري بخطه ووجد من بين الأشعار أبيات للخالديين نسبوها لأنفسهم[2]، وهي:

يا مَنْ أنامِلُه كالعارضِ السَّـــاري وفِعْلُـــه أبـــداً عـــارٍ مـــن العـــارِ
أما ترى الثَّلجَ قد خاطَتْ أنامِلُـــه ثوباً يُزَرُّ على الـــدُّنيا بـــأزرارِ[3]

فقد بالغا في إيذاءه وسدا عليه رغد عيش الأمير وقد أكد البغدادي ذلك قال: (بالغا في إيذائه وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره) [4].

(*) الخالديين هما: عثمان وأبو بكر، أبناء هاشم بن بن وعلة بن عرام، ولدا في قرية قريبة من الموصل، تعرف بالخالدية، أبوبكر أديب شاعر عاش في البصرة اشتهر هو وأخوه بالخالديين وكانا في بلاط سيف الدولة الحمداني، توفي سنة 389هـ.

الأعلام ، الزركلي ج7، ص 129. وهاشم كنىّ بأبي عثمان الخالدي وهو أيضاً شاعر أديب وقد اشتركا في تصنيف الكتب، وقيل عنه أنه توفى سنة 377هـ .

الأعلام، ج3، ص 103.

(1) يتيمه الدهر، للثعالبى ، ج2، ص 119.

(2) المصدر نفسه.

(3) الديوان، ص228.

(4) تاريخ بغداد، البغدادي، ج9، 194ص.

قال في ذلك:

عَلامَ حرمْتَني إنشـــادَ شِـــعْري لـــــديكَ وقـــد تَناشَـــدَه الأنـــامُ
ولي فيكَ التي تُلغـــي القَـــوافي إذا ذُكِـــرَتْ ويُمـــتَهَنُ الكَـــلامُ[1]

عندما عز عليه الوضع فأجبره بالخروج من الشهباء، ففي قصيدة يعتذر فيها لسيف الدولة عن خروجه بدون إذنه ويتحسر على ما فعله الوشاة به، وهل تعود له أيام الأمير الطيبة قائلاً:

أيـــامَ أدفـــعُ عتبَـــه بعِتابِـــه عنى وأمـــزج كاســـة برضـــابه
فسقاكِ ساقي المُزْنِ أعذبَ صَوبِه وحَبـــاكِ مُـــذْهِبُ غَيمِـــه بذَهابِـــه
نزع الوشاة لنا بســـهم قطيعـــة ترمى بسهم قطيعة ترمـــى بـــه[2]

وقد ظل يشكو فعل الخالديين معه وردد ذلك كثيراً في الديوان، ويصفهم بأنهما سلا عليه سيوف البغي وسلباه عرائس شعره ويقول فيهم إن كل ما لديهم من شعر ومن نظمه ومن جلّ أفكاره.

قال:

أشكو إليكَ حَلِيفَيْ غارةٍ شـــهَرَا سَيفَ الشِّقاقِ على دِيباجِ أشـــعاري
ذِئْبَيْنِ لو ظفرَا بالشِّعرِ في حَـــرَمٍ لَمَزَّقـــــاهُ بأنيـــــابٍ وأظفـــــارِ
سَلاّ عليه سيوفَ البَغْيِ مُصْـــلَتةً في جَحْفَلٍ من شَنيعِ الظُّلْمِ جـــرَّارِ

إلى قوله:

واللهِ ما مـــدَحا حيّـــاً ولا رَثَيـــا مَيْتـــاً ولا افتَخَـــرا إلا بأشـــعاري
إن توَّجاكَ بدُرٍّ فهو من لُجَجـــي أو ختَّماكَ بيـــاقوتٍ فأحجـــاري[3]

(1) الديوان، ص 424.
(2) المصدر نفسة، ص 36-37.
(3) المصدر السابق، ص194-195.

إذن دعوة السرقة دعوة مطلقة لم يحدد قصائد بعينها سرقت منة، ففي قصيدة يحكي فيها ظلم الخالديين :

قائلاً فيها:

وفي كلِّ يــومٍ لِلْغَبِيَّــيْنِ غــارَةٌ تُرَوِّعُ ألفــاظي المحجَّلــةَ الغُــرَّا
إذا عَنَّ لي مَعنىً تَضــاحَكَ لَفظُــه كما ضاحَكَ النُّوَّارُ في رَوْضِهِ الغُدْرا[1]

وبعد خروجه من حلب قصد الوزير المهلبي بغداد، ولكن لم يطل سعده فقد لحق به الخالديين، من اجل لحاق به أم لأمر آخر.

فقد أكد ابن النديم ان الشاعرين أبناء هاشم يكمن الأمر في طبعهما قــال: (إذا أستحســنا شيــئاً غصــبا صاحــبه حــياً أو ميــتاً، لا عجز منهــما عــن قــول الشعــر، ولكــن كــذا كانت طباعهم) [2].

قال يمدح الوزير المهلبي، ويتظلم إليه من الخالديين:

لنا من الدَّهرِ خَصْــمٌ لا نُغالبُــه فما على الدهرِ إنْ ولَّــتْ نوائبُــه
يرتدُّ عنه جريحاً مــن يُسَــالِمُه فكيفَ يَسْلَمُ منه مــن يُحارِبُــه[3]

فقد وصل الأمر بينهم إلى حد بعيد حتى أنه عندما سمع بقدومهم وجه حديث إلى من كانوا ببغداد يحذرهم من الخالديين ويذكرهم بغارتهما على شعره وسرقة الشعر.

---

(1) الديوان: ص210.

(2) الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت: ط2، 1997م ، ص205.

(3) الديوان: ص 90.

قائلاً:

قــد أَظَلَّتْــكَ يــا أبــا إســحاق غارَةُ اللَّفــظِ والمعــاني الــدِّقاق
وأَتاكَ الهُمامُ ذو النَّظَــرِ الشَّــزْ رِ إليها والصِّــلُّ ذو الإطــراق[1]

فالخلاف بينهم وصل إلى مجلس الوزراء وكبار الدولة وكتابها، وظل السري والخالديان يقيمان الندوات والمناظرات الأدبية ليثبت كل منهم مقدرته الأدبية، فأصبح أناس يميلون إلى ما أدعاة السري وآخرون يؤيدون الخالديين وعلى كل فإن هذا التوارد بين الشعراء موجود[2].

(1) أبو إسحاق بن هلال بن زهروان الصبابي: كاتب كان معروفاً بصناعة الطب ومال إلــى الأدب، الديوان ص 333.

(2) يتيمه الدهر: ج2، ص120.

المبحث السادس
الحنين إلى الموطن

الموصل هي موطنه ومسقط رأسه، و كما عرف عنها وحكي التاريخ أرضاً خصبة وحدائق غناء، وموارد مونقه، وظلال وارفه، ونسيم عليل، هذا القول أكده السري.

قائلاً :

غَرَّاءُ ضَاحِكَةٌ إليكِ ثُغورُها ضَحِكَ الحبيبِ إلى المُحِبِّ الوامق
سَقْياً لتلكَ مَنازِلاً مَعْمورَةً من بينِ مطروق الفِناءِ وطَارق
حُمْرَ القَواعدِ والقِبابِ كأنَّما أُشْرِبْنَ رَقْراقَ الخَلوق الرَّائق
يَلقاكَ من نُوَّارِها وغُيومِها ما بينَ دُكْنِ مَطارفٍ ونمارق
والهَيْكَلُ المُبيَضُّ يَلمَعُ وَسْطَها كالأُقحُوانَةِ في بِساطِ شَقائق
كم دُمْيَةٍ خَرساءَ فيه ودُمْيَةٍ فضلت عليها باللسان الناطق[1]

ها هو ذا يتحدث لنا عن أيام الصبا النضر في حياته مع رفاقه، يسلكون طريقهم إلى اللذات، وظل يتذكر هذه الأيام.

قائلاً:

أمحلَّ صبوتِنا دعاءُ مَشوَّقٍ يرتاحُ منك إلى الهَوى المَوموق
هل أطرُقَنَّ العُمْرَ بينَ عِصابَةٍ سَلكوا إلى اللَّذاتِ كلَّ طريقِ
أم هل أرى القصرَ المُنيفَ مُعَمَّماً بِرداءِ غَيْمٍ كالرِّداءِ رَقيق
وقَلالَي الدَّيرِ التي لولا النَّوى لم أَرمِها بِقِلىً ولا بعُقُوق
محمرَّةَ الجُدرانِ يَنفَحُ طِيبُها فكأنَّها مَبْنِيَّةٌ بخَلوق
ومحلَّ خاشِعَةِ القُلوبِ تَفَرَّدُوا بالذِّكْرِ بينَ فُروقِه وفُروق

---

(1) الديوان، ص 341.

الدكن ــ اللون الأسود.

مطارف – دار من خرز.

نمارق – الوسادة الصغيرة.

أغشـــاهُ بـــينَ مُنـــافِقٍ متجَمِّـــلٍ ومُناضِـــلٍ عـــن كُفْـــرِهِ زِنْـــديق
وأَغَنَّ تَحسِـــبُ جِيـــدَه إبريقَـــه ما قـــامَ يَســـفَحُ عَبْـــرَةَ الإبريـــق
يتنازَعونَ على الرَّحيق غَرائِبـــاً يَحْسِبْنَ زاهـــرةً كـــؤوسَ رَحيـــق
صدَرَتْ عن الأفكارِ وهي كأنها رَقراقُ صـــادرةٍ عـــن الـــرَّاووق
دَهرٌ ترفَّقَ بـــي فُواقـــاً صَـــرفُه وسَطا عليَّ فكـــانَ غيـــرَ رَفيـــق
فمتى أزورُ قِبابَ مُشرفَةِ الذُّرى فـــأوردَ بـــينَ النَّســـرِ والعَيُّـــوق
وأرى الصَّوامعَ في غوارِبِ أُكْمِها مِثلَ الهوادِجِ في غَـــوارِبِ نُـــوق
حُمراً تَلوحُ خِلالَها بِـــيضٌ كمـــا فصَّلْتَ بالكـــافورِ سِـــمْطَ عَقيـــق
كَلِفٌ تَذَكَّرَ قبـــلَ ناهيـــةِ النُّهـــى ظِلَّيْنِ ظِلَّ هـــوىً وظـــلَّ حَـــديق
فتفرَّقَـــتْ عَبَراتُـــه فـــي خَـــدِّه إذ لا مُجيرَ لـــه مـــن التَّفريـــق[1]

وعن حسن التصابي، وأيام الصبا، وشوق وحنين دائم إليها ــ وآهات تخرج من نفسه على تلك الأيام الطيبة في أرضها وكـــأنه يتمنى عودة هذه الليالي.

قال فيها:

شَبابُ المَـــرءِ ثَـــوبٌ مُســـتعارُ وأيـــامُ الصِّـــبا أبـــداً قِصـــارُ
طوَى الدَّهْرُ الجديدَ من التَّصابي وليسَ لِمَا طوى الـــدَّهرُ انتشـــارُ
ولم نُعْطَ المُنى في القُرْبِ منـــه فكَيفَ بهـــا وقـــد شَـــطَّ المَـــزارُ
صدودٌ في التَّقـــارُبِ واجتِنـــابٌ وشـــوقٌ فـــي التَّباعُـــدِ وادِّكـــارُ
يَطـــولُ إذا تَقاصَـــرَتِ اللَّيـــالي ويقـــرُبُ إنْ تباعَـــدَتِ الـــدِّيارُ
لَحـــى اللهُ العِـــراقَ وســـاكِنيهِ فمـــا للحُـــرِّ بيـــنَهُمُ قَـــرارُ
وجادَ المَوصِلَ الغَـــرَّاءَ غَيْـــثٌ يَجـــودُ وللبـــروقِ بـــه انســـفارُ

---

(1) الديوان، ص315.

قلالي الدير ــ الصوامع.

النسر يعقوق ــ نجمان .

كمـــا انهلَّـــتْ مَـــدامِعُ مُســـتَهامٍ تلهَّبُ منـــه فـــي الأحشـــاءِ نـــارُ
ففي أيامِهـــا حَسُـــنَ التَّصـــابي وفـــي أفيائِهـــا خُلِـــعَ العِـــذارُ[1]

في البيت السادس إشارة واضحة إلى ضيق حاله وعذابه في الغربة وهو بعيد عن الموصل وقد أكده بقول آخر:

أَ أَقعُدُ بـــالعراق أسـيرَ دَهْـرٍ غريبـــــــــاً لا أزورُ ولا أُزارُ
وفي غَربيٍّ دِجلـــةَ لـــي محـــلٌّ جِـــوارُ المِكرُمـــاتِ لـــه جِـــوارُ

وقال وهو يتشوق إلى الموصل التي يسميها بالحسناء ذات التماثيل :

تَـــــذَكَّرَ أيامَـــــه الخالِيـــــه فمـــا رَقَـــأت عَبـــرةٌ جَاريـــه
أقـــولُ لمُعتكِـــرِ الطُّـــرَّتَينِ مَـــنَ الغَيـــثِ مُلتَهِـــبِ الحاشِـــيه
على الرَّبَضِ المُرتَدي بالرَّياضِ سِـــــجالُك والبيعـــــةِ الدَّانيـــــه
على طَلعـــةِ الجَـــدِّ نَغنَـــى بهـــا عن الصُّبحِ فـــي اللَّيلـــةِ الدَّاجِيـــه
وحَســـناءَ لمَّـــا يشِـــن حُســـنَها تقـــادمُ أعوامِهـــا الماضـــية
ومأهولـــــةٍ مـــــن تَماثِيلِهـــــا إذا هـــي يومـــاً غـــدَت خَاليـــه
ومـــا مـــنحَ الشـــمسَ شَمَّاسُـــها وما خبـــأ القـــيسَّ فـــي الخابيـــة
فسَـــقياً لملعـــبِ غِزلانِهـــا وأَعظُـــمِ رُهبانِهـــا البَاليـــه[2]

انظر إليه كيف ينظم قوافيه وينظمها منثورة كالدرر في أهلها أصحاب الجود، ويقول انها ميثاء، طيبة الأنفاس، وهو أن بعد عنها لا يطيق فراقها، ولا يعدل عنها شيء في الدنيا. ونلاحظ أن الشاعر حديثة عن الموصل يكسوه الصدق العاطفى.

قائلاً في ذلك:

سقاكَ بالمَوْصِلِ الزَّهراءِ من بلَدٍ جَوْدٌ مِن الغَيثِ يحكي جُودَ أهلِيها
أ أَندُبُ العَيشَ فيها أم أنوحُ على أيامِهـــا أم أُعـــزَّى عـــن لَيالِيهـــا

(1) الديوان، ص 217-218.
(2) المصدر نفسه، ص 470.

أرضٌ يَحِنُّ إليها مـــن يُفارقُهـــا ويَحمَدُ العيشَ فيها مـــن يُـــدانِيها

فهى أرض خير أهلها كرام وطبيعتها مثلهم ويدعو لها أن يغدق مطر ها وأن يعمها الخير وهو حزين، ببعده عنها وأن ما في الدنيا لا يمثل شيء بالنسبة لها، وقد وصفها واستخدم تشبيهات رائعة وفائقة الجمال.

مَيثاءُ طَيِّبَةُ الأنفـــاسِ ضـــاحكةٌ تكادُ تهتزُّ عُجْبـــاً مـــن نَواحِيهـــا
تَشُقُّ دِجلةُ أنوارَ الرِّيـــاضِ بهـــا مثلَ الصَّفيحةِ مَصقولاً حَواشِـــيها
لا أمِلكُ الصَّبرَ عنها إن نَأَيتُ ولَو عُوِّضتُ من ظِلِّها الدُنيا بِما فِيهـــا
مَحَلُّ قَومٍ ينوبُ الدَّهرَ جُـــودُهُمُ عَنِ السَّحائبِ إن ضنَت هَوامِيهـــا
ودَوحـــةٌ بفـــروعِ الأزدِ باســـقةٌ يَفنَى الزمانُ ولا تَفنَى مَســـاعِيها[1]

ويقول وهو يبكيها ويسعد بهذا البكاء، لأنها منبع السرور، ذات القصور العالية، والجنان الوارفة، فوصفها وصف فنياً انظر إلى قوله (كأن بنات نعش) وتشبيهه لها بالتبر.

قال:

يَميلُ بنا الهَـــوى طَرَبـــاً إليهـــا فنَبكِيهـــا ونَســـعَدُ مـــن بُكاهـــا
تَلقَّاها الزَّمـــانُ بخَفْـــضِ عَـــيشٍ وعاودَها السُّـــرورُ كمـــا بَـــدَاها
نَقولُ لها سَـــقاها الغيـــثُ رَيّـــاً وقـــلَّ لهـــا مَقالُتنـــا سَـــقَاها
قُصورٌ حَلَّقَت في الجـــوِّ حتّـــى لقَصَّرَتِ الكَواكِـــبُ عـــن مَـــداها
مُشَـــرَّفةٌ كـــأنَّ بَنـــاتِ نَعـــش تناجيهـــا إذا خفقـــت شـــفاها
يُتَوِّجُها اصفرارُ الشـــمسِ تِبـــراً فَتُمْسِـــي وَهـــيَ مُذْهَبـــةٌ ذُراهـــا
وجَنَّاتٌ يحيِّـــي الشَّـــربَ وَهنـــاً جَنَى وَهَـــدَاتِها وجَنَـــى ربُاهـــا[1]

---

(1) الديوان، ص 462-463.

الميثاء : الأرض اللينة السهلة.

هواميها: أنصبابها.

يرسل قوافيه تبث ما في صدره إلى مسقط رأسه، ومرتع شبابه، ويتألم على ما حدث لها من خراب عندما غمرتها المياه، ويذكر مواردها وظلالها ونسيمها.

قائلاً:

أقولُ لحنَّـــانِ العَشـــيِّ المُغَـــرِّدِ ... يهُـــزُّ صـــفيحَ البـــارقِ المتوقِّـــدِ

تَبَسَّمَ عـــن رَيِّ الـــبلادِ حَبيُّـــه ... ولـــم يبتســـمْ إلا لإنجـــازِ مَوْعِـــدِ

على الشَّرَفِ المعمورِ بالعَمْرِ فالرُّبا ... فتلـــكَ الثَّنايـــا فـــالطريقِ المعبَّـــدِ

فسُودِ اللَّيالي من بَنِيَّـــةِ جَعْفَـــرٍ ... فَدِمنَـــــةِ آثـــارِ الخليفـــةِ أحمـــدِ

بِصَفحةِ مصقولِ الأديـــمِ كأنَّمـــا ... سَـــفائِنُهُ رُبْـــدُ النَّعـــامِ المُشـــرَّدِ

شَـــوائِلُ أذنـــابٍ يُخَيَّـــلُ أنَّهـــا ... عقارب دبت فوق صـــرح ممـــرد

فمَشهَدُ عمروٍ حيثُ يُلعَنُ ظـــالِمٌ ... وتَبكي على المظلـــومِ آلُ محمَّـــدِ

مَحلُّ الهَوى العُذريِّ في غَيرِ حِلَّةٍ ... وعَهْدُ الشَّبابِ الغَضِّ في غَيرِ مَعهَدِ

مَضَت نَومَةُ التَّعريسِ في ظلِّ أمنِهِ ... وأعقَبهـــا ليـــلُ السَّـــليمِ المُسَـــهَّدِ

أمُجُّ له العَـــذْبَ النَّميـــرَ كأنَّـــه ... مُجاجةُ مُحمَـــرِّ الحمـــاليقِ أســـوَدِ

ولا وِصْلَ إلا أن أروحَ مُغَـــرِّراً ... بأدهمَ في تَيَّـــارِ أخضـــرَ مُزبِـــدِ

إذا ما ارتدَى اللَّيلَ البَهيمَ فـــإنَّني ... بلَيْلَينِ منـــه والدُّجُنَّـــةِ مُرتَـــدي[2]

يبكي على أديمها المصقول، وآثارها وتاريخ حافل بالرخاء، ومحل الهوى العذري، والشباب الغضّ ولإعجابه بهذا جاء تردده كثيراً، فالسري برغم ضيق عيشه فيها وسوء حاله، وفقره ولكن ظلت هذه الصور عالقة بخلجات نفسه، وقوافيه التي أرى فيها صدقاً عكس ما في دواخله اتجاه هذه الأرض الطيبة، رغم رحيله إلى حلب التي يقال عنها، (حلب مدينة واسعة

---

(1) المصدر نفسه، ص464.

(2) الديوان، ص 166-167.

كثيرة الخير أنها طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، ويقال عنها أيضاً تعددت بها الأمم حتى أصبحت مركز الشرق) [1]. رغم هذا يظل حنينه إلى الموصل ويواصل قائلاً:

أرى بلداً يشكو منَ الماءِ مثلَ ما ... شكا الغِمدُ من حدَّ الحسام المهنـدِ
تَحَوَّفَ غَربيَّ القصـورِ كأنَّمـا ... رُمينَ على الأيَّـامِ منـه بمِبـرَدِ
مُكَفَّرَةُ الجُـدرانِ للمَـدِّ لا تَنـي ... تَخُرُّ عليه مـن رُكـوعٍ وسُـجَّدِ
وعَهْدي بها مثلُ الفَراقدِ تُنْتَضى ... ذَوائِبُها مـا بـينَ نَسْـرٍ وفَرقَـدِ
بقيَّـةُ أبشـارِ البنـاءِ كأنمـا ... تَصوغُ لها الآصالُ تِيجانَ عَسـجَدِ
فيا سطوةَ الأيَّام عُودي لسِـلْمِها ... كما كنتِ قبلَ اليومِ مَغلولـةَ اليَـدِ
ويا جانِبيَهْـا بالمُنـاخِ سُـقيتُما ... بأعـذبَ ممَّـا يُسـقَيانِ وأبـرَدِ
ويا ديْرَها الشَّرقيَّ لازالَ رائـحٌ ... يَحُلُّ عُقودَ المُزنِ فيكَ ويَغتـدي[2]

فهو يدعو ويتمنى العودة لما كانت عليها فهي:

مَوارِدُ لَهْوٍ صَفَّقَتْ في ظِلالِهـا ... مَوارِدُ من مـاءِ الكـرومِ مُـوَرَّدِ
عليلَـةُ أنفـاسِ الرِّيـاحِ كأنَّمـا ... يُعَلُّ بماءِ الوَرْدِ نَرجِسُـها النَّـدي
يَشُقُّ جيوبَ الوَرْدِ في شَـجَراتِها ... نَسيمٌ متى يَنْظُرْ إلى المـاءِ يَبـرُدِ
وملعَبُ إفرِنْدِيَّةِ الرَّوْضِ يَعْتَلـي ... عليـه خَلـوقيُّ البِنـاء المُشَـيَّدِ
صوامعُ في سَروٍ أنـافَ كأنَهـا ... قِبابُ عقيقٍ في قِبـابِ زَبَرْجَـدِ[3]

(1) المعجم البلدان، عبد الله الحموى الياقوتي، دار صادر، ببيروت، ط3، 207م ص 282.
(2) الديوان، ص167.
(3) المصدر نفسه، ص168.
- فرنديه: أراد بها السيف.

وحنينه إلى الموصل الذي رسمه وأجاد فيه أرى أنه قد أفصح لنا عن نفس شفافة تواقة إلى ذلك العهد البريء من الهموم وما يحيط بالإنسان في هذه الدنيا من تعب وعناء، فهو دوماً يتمني العوده لتلك الأيام التي عاشها في الموصل فكانت قوافيه ونظمه فيها كلوحةٍ أبدع رسمها .

الفصل الثاني
الأغراض الشعرية

المبحث الأول: **الوصف**
المبحث الثاني: **المدح**
المبحث الثالث: **الغزل**
المبحث الرابع: **اللهو والمجون**
المبحث الخامس: **الرثاء**
المبحث السادس: **الهجاء**
المبحث السابع : **أغراض أخري**

المبحث الأول
وصف الطبيعة

الوصف هو الكشف والإظهار، يقال وصف الثوب الجسم إذا أظهر محاسنه وبين هيئته[1]. وفن الوصف من فنون الشعر العربي القديم .

قال قدامه[*] عنه: "إن جماع الوصف أن يكون المعنى موجهاً للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب"[2].

ويقول ابن رشيق[*] عنه: "أحسن الوصف ما نعني به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع"[3].

والوصف الأدبي هو الذي يتناول الطبيعة والإنسان وكل ما يتعلق بالإنسان، إذن هو تسجيل باللغة، وهو نظير الرسم والتصوير، ولكن هنا يعتمد على الخيال، وصدق التعبير، وحرارة العاطفة، ومن ثم تكتمل لوحة الشاعر الفنية[4].

---

(1) لسان العرب، لابن منظور ، مادة (وصف).

(*) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كاتب من البلغاء الفصحاء، كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يديه، توفى ببغداد سنة 337هـ من آثاره نقد الشعر، وجواهر الألفاظ، وزهر الربيع، انظر الأعلام خير الدين الزركلي ، ط1، ص:

(2) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1962م، ص61.

(*) ابن رشيق هو الحسن بن رشيق المحمدي من المحمدية إحدى مدائن أفريقية. كان متجراً في علم الأدب ــ من آثاره كتاب العمدة في محاسن الشعر، توفى سنة 450هـ، انظر إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص 89.

(3) العمدة فى محاسن الشعر ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبد الحي عبد الحميد، ط3، المكتبة التجارية، القاهرة 1955م، ج2، ص294.

(4) الأسلوب، أحمد الشائب، دراسة تحليلة لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط6، 1966م، ص90.

والحديث عن الطبيعة الحية، والصامتة وكل ما أدرج في طياتها فهو مرتبط بالشاعر وبقدرة على إخراج ما فيها من جمال[1].

وللطبيعة سحر وجاذبية أخذت مدى الدهور تعطى لأهل الموهبة ينبوع لينهلوا منه، ولها كذلك جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال، فقد جاءت مشاهدها في القرآن الكريم تتجلى فيها قدرة العلي العظيم، المبدع المصور، نضرب لها مثلاً قولة تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾(2). وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(3).

سبحان الله الذي خلق هذا الجمال وأودع في نفوسنا حبه، والتأمل فيه والشاعر بطبعه مرهف الإحساس، مستشف لهذا الجمال والشاعر العربي تأمل بيئته البدوية الصحراوية فاستهوته تلك الصحاري وما فيها وأثارت الأطلال شجونه وعلى أنه وصف بالمتأمل، إلا أن الوصف البدوي يتجلى فيه الصدق ، وهناك اختلاف بين الوصف البدوي والحضري[4].

نجد أن شعر الطبيعة ظل في تغيير كغيره من الأغراض الأخرى، فالعصر العباسي يختلف عن سابقيه، حيث لطف أذواق الناس، فتفننوا في أشعارهم وذلك لما أمدتهم به طبيعتهم فأفسحت لهم الكثير وكانت بمثابة ورد أثلج نفوسهم، فشخص لنا شعراوْها وجسدوها فأصبح الوصف موضوعاً

---

(1) شعر الطبيعة في الأدب العربي: سيد نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987م، ص23.

(2) سورة يس، الآية(34.)

(3) سورة الأنعام، الآية (99.)

(4) أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 1967م، ص348.

شعرياً مستقلاً، وهدفاً لذاته ومع هذا اللون الجديد نجد أن العباسيين أخذوا بالقديم والجديد[1]. فجمعت ثروة القديم مع المكتسب من الثقافات الجديدة فبلغوا بذلك الذروة في الوصف وغيره[2].

فالشاعر السري الرفاء أحد شعراء هذه الطبيعة العباسية تأثر بها فأرانا ما فيها، وعبر عن دواخله وسجل إحساسه العميق فتجلت لنا الطبيعة في لوحة فنان فللنظر رسمه.

الطبيعة الصامتة

وصف الصبح: وشبهه بالراهب قائلاً:

والفجرُ كالراهــبِ قــد مُزِّقَــتْ مــن طَــرَبٍ عنــه الجلابيــبُ[3]

وتارة يشبهه بالمرأة الشابة:

قائلا:

والفَجرُ مَصقولُ الــرِّداءِ كأنَّــه جِلبابُ خــوْدٍ أشــبَعَتْهُ خَلُوقــا[4]

فهو متأثر بعمله حتى في وصفه الطبيعة.

الليل : يطول سهره فيه قلقاً، يناجي نجومه وعجباً لهذا الليل يقاس باليد ليتعرف على طوله وها هو ذا يبدأ بألا لتنبيه القارئ وتقوية المعنى الذي أراده.قائلاً

أَلا رُبَّ لَيلٍ بِتُّ أرعى نُجومَــه فلم أغتَمِضْ فيه ولا اللَّيلُ أغمَضا

كأنَّ الثُرَيَّا راحَةٌ تَشْــبُرُ الــدُّجى لتعلمَ طالَ اللَّيلُ لــي أَم تعرَّضــا

عَجِبْتُ لِلَيلٍ بينَ شَرْقٍ ومَغــرِبٍ يُقاسُ بشِبرٍ كيفَ يُرجَى له انْقِضا[1]

(1) الشعر العباسي الرؤية والفن: عز الدين إسماعيل، دار المعارف، 1980م، ص 380.

(2) الوصف: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف بالقاهرة، 1960م، ص53.

(3) الديوان، ص.97

(4) المصدر نفسه، ص 314.

الخود: الشابة من النساء.

النجوم: قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[2].

قيل: إن العرب تعظم الثريا وهي من النجوم الثابتة عندهم في البرد والصيف.

قال في ذلك:

كأنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا كَـفٌّ ذي كَـرَمٍ ... مَبسوطَةٌ للعَطايـا لـيسَ تَنقَـبِضُ

دارَتْ علينا كؤوسُ الخَمْرِ مُترَعَةً ... وللدُّجى عارِضٌ في الجَوِّ مُعتَرِضُ

حتَّى رَأَيتُ نُجومَ اللَّيـلِ غـائِرَةً ... كأَنَّهُنَّ عيونٌ حَشْـوُها رَمَـضُ[3]

الهلال:

وكـأنَّ الهِـلالَ نـونُ لُجَـينٍ ... غَرِقَتْ فـي صـحيفةٍ زَرقـاءِ[4]

وقال كذلك في وصفه:

ولاحَ لنا الهلالُ كشَـطْرِ طَـوْقٍ ... علـى لبَّـاتِ زَرْقـاءِ اللِّبـاسِ[5]

البيت الأول لوحة رائعة لشكل الهلال وكثيراً ما استشهد أهل البلاغة بهذا البيت، كذلك البيت الثاني حيث يكتمل الجمال الذي جعل فيه الطوق لأنه يكون في عنق الحسناء. فهو جامع للجمال في كلٍ.

وقال في آخر يصف الثريا:

وفتيَـةٍ دارَتِ السُّـعود بِهِـم ... فـدارَ للـرَّاحِ بيـنَهم فَلَـكُ

بِتْنا وضَوْءُ الكؤوسِ يَهتِكُ بـال ... إشْـراقِ سِـترَ الـدُّجى فينهَتِـكُ

نَرى الثُّرَيَّا والبَـدْرُ فـي قَـرَنٍ ... كمـا يُحَيَّـا بِنَـرْجِسٍ مَلِـكُ[6]

---

(1) المصدر السابق، ص268-269.

(2) سورة النجم، الآية 1.

(3) الديوان، ص268.

(4) المصدر نفسه، ص 22.

(5) المصدر السابق، ص257.

(6) المصدر السابق، ص346.

السحاب:

قال: يراه الشاعر أغر صادق الوعد، عندما تغيب أنجمه ويشتد رعده، ويغدق الحيا، ففازت مقاصده.

قال فيه:

أقبلَ كالـذَّوْدِ رَعَـتْ شَـوارِدُه أغـــرٌ لا تكـــذبنا مَواعِـــدُه
فظَـلَّ يَعتـادُ الحيـاةَ قائـدُه وراحَ ظمـآنَ الثَّـرى يُناشِـدُه
حتى إذا ما ارتَجَسَـت رواعِـدُه وَأَذْهَبَـتْ بِبُوقِهـا عُطـارِدُه
عادَتْ بما سرَّ الثَّـرى عَوائِـدُهُ وانتثَرتْ في روضِـها فرائِـدُه[1]

فتجلت لنا صورة رائعة، واختيار ألفاظ مناسبة، فمثلاً في البيت الثالث ارتجست قوية الصوت وملائمة لصوت الرعد وجاء ذكر البرق، والرعد، والسحاب كثيراً في الديوان.

وقال: يصف ليلة شديدة المطر، والريح، والرعد:

طَرَقْنـا أبـا عـامرٍ مَوْهِنـاً ومـا زالَ يَحْظـى بـه الطَّـارِقُ
وقـد سـفَرَ الأُفـقُ عـن شِـدَّةٍ لسـانُ السَّـماء بهـا نـاطِقُ
وأومَـضَ بَـرقٌ كمـا أومَضَـتْ يَـدُ البِكْـرِ زَيَّنَهـا البـارِقُ
وهَبَّـتْ جَليديَّـةٌ قَـرَّةٌ رَذاذاً وأَسـلَمُها دائِـقُ[2]

فكلمة أومض وجلدية ودائق وضحت وصفة لشدة برقها ورياحها الهوجاء فهى ليلة سماءها يبشر بمطر غزير.

---

(1) الديوان، ص143.

(2) المصدر نفسه، ص336.

الثلج:

يعتبر شعر الثلج جديداً ومستحدثاً ظهر في القرن الرابع[1]: "يقال إن كاشجم، والصنوبري قد فتحا الباب أمام شعراء عصرهم".قال الرفاء فيه:

سكَنْتُ إلى الرحيلِ وكيفَ أَثوي بأرضٍ لم تكُن مَلقَى رِحالِ
أُلِمُّ برَبعِها حَذِراً فألقَى مُلِمَّ الشَّيبِ في لِمَمِ الجِبالِ
تلألأتِ الرُّبى لمَّا علاَهَا كأنَّ على الرُّبى أثوابُ آلِ
كأنَّ ذُرَى الغُصونِ لَبِسنَ منه حِلَى الكافورِ رَبَّاتُ الحِجالِ
تجولُ العينُ فيه وهو فيها كشُهْبِ الخَيلِ رُحنَ بلا جِلالِ[2]

فصورة الثلج وهو يتساقط على الأرض وكأنها أثواب تتلألأ كالسراب وهو يراه في جماله كأن الغصون حسنوات لبسن منة حلى.

وقال عن نهر دجلة:

وصف نهر دجلة قائلاً:

ومسترفِدٌ تيَّارَ دِجلةَ رافداً سواحلَها من نازحٍ ومُقاربِ
يسيرُ وإن لم يبرَحِ الدهرَ خُطوةً فليس بوقاف ,وليس بسارب
مواصلُ إيجافٍ تكادُ تُجيبُه إذا حنَّ ليلاً مُوجِفاتُ الرَّكائبِ[3]

(1) وصف الطبيعة عند كشاجم، بقلم صالح علي التشيوي، مج، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالجامعة الأردنية، 1999م، ص68.

(2) الديوان، ص385-386.

(3) المصدر نفسه، ص82-83.

الجبال:

وصفها فى الديوان قليل معظمها فى قصائد المدح.

قال الشاعر فيها :

وكـــــأنَّ قُدْســـــاً أو مَتالِعَـــــه وهـــبَ الوَقـــارَ لـــه تَـــوَقُّرُه[1]

وقال أيضاً:

لو هَمَّ بَأسُكَ بالطَّودِ الذي شَمَخَتْ هِضابُهُ لَهَوَى من بأسِكَ الطَّورُ[2]

عُرفت الجبال عند العرب كرمزٍ للقوة والثبات كما كانت دوماً ملهمةً لشعراء العرب الذين تفننوا في وصفها والإستدلال بها وبقوتها وصلابتها كجزء ومكون اصيل من جغرافيا المنطقة واستخدمها شاعرنا لوصف ممدوحيه يصفهم بالقوة والثبـــات.

---

(1) الديوان، ص214.

قدس: جبل نجد.

(2)المصدر نفسه ، ص177.

الطبيعة الحية

وصف الطبيعة مجال واسع وخصب لكل الشعراء، يقول عنه قدامة: "فن واسع الأطراف يصيب سائر الأمور ماديتها ومعنويتها ومجاله الطبيعة بمن فيها من أناس، وما فيها من الكائنات الحية والجامدة، وأسرار النفوس"[1].

والطبيعة الحية نعني بها كل موصوف متحرك من حيوان أليف، وغير أليف.ويمكن تناول ذلك من شعر الرفاء.

البـــاز:

هو طائر يستخدم للصيد ويقال أن الملوك أكثر اهتماماً به وهو من الجوارح.

قال فيه شاعرنا:

لَمَّا أَجَـدَّ اللَّيـلُ فـي انحيـازِه ... ولاحَ ضَوْءُ الصُّبحِ من أعْجـازِه

دعَـوْتُ سَـعْداً فـأتى ببَـازِه ... تَحمِـلُ يُسـراهُ علـى قُفَّـازِه

ضَامِنَ زادٍ جَـدَّ فـي إحـرازِه ... نَدْباً هوانُ الطَّيـرِ فـي إعـزازِه

أقرانُـه تَتكِـلُ عـن بِـرازِه ... يُبـادِرُ الفُرصـةَ فـي انتهـازِه

كأنمـا راحَ إلـى بَـزَّازِه ... فـابتزَّه المَوشِـيَّ مـن طِـرازِه

فصادَ قبلَ الشَّـدِّ فـي اجتيـازِه ... خمسـينَ حُزنـاهُنَّ باحتيـازِه

ما أسـلفَ البِـرَّ فَلَـمْ يُجـازِه ... ولا خلا في الوَعدِ من إنجـازِه[2]

---

(1) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ، ص306.

(2) الديوان، ص255-256.

ندباً : الحفيف السريق.

تتكل: تتكص وتجنب.

فهو سريع وقوي، تخافه الطيور وتهابه، والباز رمز للقــوة والعــرب تتفاخر به، بل هناك من سُمو بذلك من قديم الزمان حتى اليوم.

الزنابير: قال عنها :

ومُخطَفِ الخَصرِ بُــرُدُهُ حَبَــرٌ نَحــــذَرُه وهـــو خـــائفٌ حَـــذِرُ
مُجــنَّحٌ طـــارَ فـــي مُجنَّحـــةٍ تصـــعَدُ طـــوراً بـــه وتَنحَـــدِرُ
كأنهـــا والرِّيـــاحُ تَنشُـــرُها غرائـــبُ الزَّهْـــرِ حـــينَ يَنتَثـــرُ
لهـــا حُمَـــاتٌ كأنَّهـــا شَـــعَرٌ تَظهَـــرُ مُســـوَدَّةً وتَســـتَترُ[1]

يتناول ذلك ويصف شكلها الضامر ولها إبرة فهى لاسعة، نحذرها وهى تخاف منا وهى غير أليفة.

الخطاف:

قال فيها:

وغرفتُنا الحسناءُ قد زادَ حُســنُها بزائرةٍ في كـــلِّ عـــامٍ تَزورُهـــا
بمُبيَضَّةِ الأحشاءِ سودٍ ظُهُورُهـــا مُزَنَّرةِ الأذنـــابِ حُمْـــرٍ نُحورُهـــا
مُرَفرِفَةٍ حولَ البيـــوتِ وفودُهـــا مُحَلِّقَةٍ حَولَ السُّـــقوفِ وكورُهـــا
لهُـــنَّ لغـــاتٌ مُعْجِمـــاتٌ كأنَّهـــا صَرير نعالِ السِّبت عالٍ صريرُها
تُجاورنُا حتى تَشِـــبَّ صِـــغارُها فيَلحَقُ فينا بـــالكَبيرِ صَـــغيرُها[2]

يقول هذا النوع من الطيور ذات اللون الأسود، فهى مهاجرة نسعد بزيارتها. ويصف أصواتها بالصوت نعال من الجلد،والناظر للمقطوعة يدرك دقة إحساس وتصوير الشاعر.

---

(1) الديوان، ص246.

(2) المصدر نفسه، ص 233.

الخطاطيف: مفردها خطاف، وهو طيور تشبه السنونو تأتي في الربيع.

يصف الديك:

قائلاً حينما ودع الليل قام الديك فرحاً بالصبح يهلل ويكبر.

إذا المَجَرَّةُ مالَــت بعــدَ تعــديلِ وجاذَبَ الليلُ حبلاً غيرَ مَوصــولِ

وهبَّ ذُو الرَّعَثَاتِ الحُمر مُنتشياً فارتاعَ من صَارمٍ للصُّبحِ مَســلولِ

لمَّــا رآه يَضُــمُّ الليــلَ أكبَــرُهُ فعــادَ منــه بتكبيــرٍ وتهليــل[1]

وصف الحيوانات :

الخيل:

قال تعالى: ﴿...وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ...﴾[2].

قال (ص): "الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"[3].

وقد اهتم بها العرب كثيراً ووصفوها وتفاخروا بها، والسّري كعادة شعراء العرب نجده واصفاً لها قائلاً فيها:

قال السري فيها:

وأَغَــرَّ نهــدٍ لــو طَلَبــتُ بــه شــأوَ الجنائــبِ بَــذَّها حُضْــرا

طِرْفاً إذا ما اختــالَ خِلْــتَ بــه صلفا" من الإعــراض,أو كبــرا

يُنْسيكَ صِــبغُ أديمِــه الخَمــرا وتُريــكَ غــرَّةُ وَجْهِــه البَــدْرا

لا يســتَقِرُّ كــأنَّ أَربعَــه فُرْشٌ يَطَا مــن تَحتِهــا الجَمــرا

وكأنَّــه لمّــا اكتَســى عَرَقــاً ورَقُ الشَّــقائقِ يَحمِــلُ القَطــرا

يجري ويَعطِفُــه العِنــانُ كمــا عُطِفَ القَضيبُ وقد غدا نَضْرا[4]

---

(1) الديوان ص363. قال الجاحظ العرب تسمى هذه الأجناس كلها حمام فجمعوها باسمها العام وفروقها بالاسم الخاص، الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي،ط2 1969م، بيروت، لبنان، ج3، ص146.

(2) سورة آل عمران، الآية 14.

(3) الحديث: صحيح مسلم، شرح النووي، دار الفكر، القاهرة، 1401هـ-1989م، ج3، ص16.

(4) الديوان، ص211-212.

نهد: فرس الحسن الجميل، جنائب: خيول، الخضر: الجري

وقولة طرفا يصفه كريم وبالحسن والجمال مع السرعة والقوة وكأن إذا تصبب منة العرق ورد عليه ندى.

وقال:

قادَ الجيادَ له من وَطئِها صَـــخَبٌ على الصُّخورِ ومن أرهاجِها ظُلَلُ
يَؤُمُّ خَرشَـــنةَ العُليـــا فيَصـــبَحُها بالخَيلِ تَصهَلُ والرايـاتِ تَرتجِلُ[1]

فهذه الخيول قوية عبرت الحدود وشاركت في النصر.

ويصف البراغيث:

وليلـــةٍ مِـــنْ نَقَمـــاتِ الـــدَّهْرِ قطَّعتُها نَـــزْرَ الكَـــرى والصَّـــبرِ
مُكَلَّمَ الصَّـــدْرِ جَـــريحَ النَّحـــرِ مُقَسَّـــماً بـــينَ أعـــادٍ خُـــزْرِ
كُمْـــتٍ إذا عايَنتَهـــا وشُـــقْرِ كأنهـــا آثارُهـــا فـــي الأُزرِ[2]

يصف عقرباً:

ســـاريةٌ فـــي الظَّـــلامِ مُهدِيـــةٌ إلى النفوسِ الـــرَّدى بـــلا حَـــرَجِ
شـــائلةٌ فـــي ذنيبِهـــا حُمَـــةً كأنهـــا ســـبْجةٌ مـــن السَّـــبَجِ[3]

فما من شيء في الطبيعة إلاّ آثر إحساسه، وحرك دواخله اتجاهها فهو شاعـــر عاشق لها واصفاً لرياضاها النشوى ــ ووردها ــ ونرجسها الفواح.

قال في وصف الروض:

يصف الروض نسيمه، البرق قد لمع، وأمطرت السماء فصحا نباته وقد جدد الربيع فيه ألواناً فلاذ هواه، وطاب.

قائلاً:

---

(1) الديوان ص 351.

الصافانات: الخيل، الأرهاج: الغبار.

(2) المصدر نفسه، ص239.

(3) المصدر نفسه، ص.117

أعادَ الحَيا سُكْرَ النَّباتِ وقد صَحا وجدَّدَ من عهدِ الربيعِ الذي انمحى
وباتَ زِنادُ البرقِ يَقــدَحُ نــارَه على الآسِ حتى اهتزَّ فيه وقــدَّحا
كأنَّ حَمامَ الرَّوضِ نَشْوَانُ كلمــا ترنَّمَ فــي أغصــانِه أو تَرَجَّحــا
ولاذَ نسيمُ الرَّوْضِ من طولِ سَيرِه حسيراً بأطرافِ الغصونِ مُطلَّحــا
فباشرَ وَرْدَ الأُقحــوانِ مُشــرَّفاً وصــافحَ وردَ البــاقِلاَءِ مجنَّحــا
وحلَّلَ من أزرارِهِ النَّوْرَ فاغتدَى كلفظِ جَليبٍ هــمَّ أن يتفصَّــحا[1]

في صورة رائعة وصف الروض. وقد صحا ولاذ نسيمه وتفتح زهــره.

فالسَّريّ كدأب شعراء عصره شغلتهم الطبيعة وما فيها من جمال وسحر. وهو يحتفي بقدوم الربيع، وجمال السحب، وتفتح أنوارها، وأزهارها قائلاً فى ذلك:

غيــومٌ تُمَسِّــكُ أُفــقَ السَّــما وبَــــرقٌ يُكتِّبُهــــا بالــــذَّهَب
وخضراءُ تَنثُــرُ فيهــا الصَّــبا فريدَ نــدىً مــا لَــه مــن ثُقَــب
فأنوارُهــا مثــلُ نظــمِ الحِلَــى وأنهارُها مثــلُ بِــيضِ القُضُــب
شَهِدْتُ بها فــي نَــدامَى ســلَوا عن الجِــدِّ واســتهتروا باللَّعِــب
وأغناهمُ عــن بــديعِ السَّــماع بــدائعُ مــا ضُــمَّنتْه الكُتُــبُ
وأحســنُ شــيءٍ رَبيــعُ الحَيــا أُضــيفَ إليــه ربيــعُ الأدَب[2]

وهنا يقول غيومها تعطر سماءها كأنها مسك وتكتب عليها وكأنها تبر. وأرضها خضراء قد بان نداها فوقه فهى وارفة شهدت الدنيا بجمالها وبدائع ربيعها.

وكذلك يصف الورد الذي له تعود له حياته زمن الربيع.

---

(1) الديوان، ص126-127.

(2) المصدر السابق ، ص66.

الورد:

فالورد بألوانه الزاهية وعطرة الفواح مما يترك في النفس من نشوة وارتياح، والسَّريّ شاعر مستشف لجمال الطبيعة فأنشد فيه قائلاً:

لو رَحَّبَتْ كاسٌ بذي أوبةٍ لرحَّبَتْ بالوردِ إذ زارَها
جاءَ فخِلناهُ خُدوداً بدَتْ مُضرِمَةً من خَجَلٍ نارَها
كأنما خُيِّرَ في رَوْضَةٍ طرائفَ الكُسوةِ فاختارَها
وعطَّرَ الدُّنيا فطابت به لا عَدِمتَ دنياكَ عَطَّارَها
قد خلعَ القَطْرُ جلابيبَه إلا شظَاياها وأزرارَها[1]

ففي هذه الابيات يصور الارض وهي فرحة نشوانة تستقبل اوانه ويصف الوانه المتعددة كأنما اختيار فنان زين هذه الارض بأبها صور الجمال ، فكلمة عطّر أدت المعنى ووضحت انتشار العطر الفواح.

أما تَرى الوَردَ قد باح الرَّبيعُ به من بعدِ ما مرَّ حَوْلٌ وهو إضمارُ
وكانَ في خِلَعٍ خُضْرٍ فقد خُلِعَت إلا عُرىً أُغْفِلَتْ منه وأزرارُ[2]

ورد أصفر، فوقه أبيض، ويكنف وسطه أحمر، كأن صورة الروض ووردة أمامنا فالنظر إلى ما قاله:

ورَوْضٍ كَساهُ الغَيثُ إذ جادَ أرضَه مَجاسِدَ وَشْيٍ من بهارٍ ومَنثورِ
به أبيضُ الوردِ الجَنيِّ كأنَّما تَبسَّمَ للناشي بمِسكٍ وكافورِ
كأنَّ اصفراراً منه فوقَ ابيضاضِهِ بُرادةُ تِبرٍ في مَداهنِ بَلُّورِ[3]

فوصفه هنا وصفاً يثلج القلب ورسم لنا بنظمه أجمل ما منحته الطبيعة

---

(1) الديوان ، ص227.

(2)المصدر نفسه، 236.

(3)المصدر السابق، ص238.

مجاسد: مفردها مجسد قميص يلي البدن.

النرجس:

الحديث عن نرجسيات، والسوسنيات، واللينوفريات، هذا الفن اهتم به شعراء القرن الرابع[1]، ومنهم السري فأبدع قائلاً في النرجس:

سفَرتْ لنا الدُّنيا وكَم ألقت محاسنها الخيمارا
ورأيتُ نَرجِسَها على لَبَّاتِها حَلْياً مُعارا
إن حَلَّ حلَّ به السُّرو ر مُخيِّماً أو سارَ سارا
ما كانَ قبلُ كأنَّه مَرَضُ العيونِ لها شِعارا
لكنَّه أزرَى بها فَمَرِضْنَ ذُلاً وانكسارا[2]

وفي موضع آخر يقول شاعرنا:

فقد جَلا النَّرجِسُ الجَنِيُّ لنا عن عِيشَةٍ في قُدومِهِ رَغَدِ
يجمعُ ضِدَّيْنِ قَلَّ ما اجتَمَعا من لَهَبٍ ساطعٍ ومن بَرَدِ[3]

السوسن:

وهو نبات معروف بألوانه الزاهية الجذابة ومنظره الساحر وها هو السري يلفت نظرنا ويأمرنا بالنظر إليها قائلاً:

أُنظُرْ إلى السَّوسَنِ في نَباتِه فإنَّه نَبْتٌ عَجيبُ المَنظَرِ
كأنَّهُ مَلاعِقٌ من فِضَّةٍ قد خُطَّ فيها نُقَطٌ من عَنْبَرِ[4]

اللينوفر: اسم فارسي معناه النيلي الأجنحة وهو نبات مائي وهو ينبت في المياه الراكدة[5].

---

(1) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: مصطفى شعكه، مكتبة الأنجلو المصرية، ص354.
(2) الديوان، ص244.
(3) المصدر السابق، ص168.
(4) الديوان، ص223.
(5) نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، ص219.

قال فيه:

حبيـــبٌ حبـــاكَ بلينـــوفرٍ فـــأكرمْ بـــه وبإهدائـــه
تأمَّلـــتُ مـــا فيـــه فاقتـــادَني إليـــه تزاويـــقُ وَشْـــيائِه
لـــه طَلْعَـــةٌ بـــين أوراقِـــه ضُـــحىً ثـــم يكمُـــنُ فـــي مائِـــه
كغـــوَّاصِ لُـــجٍّ علـــى فاقـــةٍ يحـــاولُ أســـبابَ إثرائِـــه[1]

إذن هذا النبات النيلي يراه السَّريّ جميلاً يهواه الأحبة، ويصوره في صورة غواص وهو يلج إلى الماء بعد ظهوره على السطح فتظهر لنا هذه الحركة الجميلة.

وفى موضع آخر قال:

يا حُسْـنَ لَيْنُـوفَرٍ شُـغِفْتُ بـه يمنَحُـه المـاءُ صـفْوَ مشـروبِهْ
كأنـــه عاشـــقٌ بـــه ظمـــأ تـــوهَّمَ المـــاءَ ريـــقَ محبوبِـــهْ[2]

الشقائق: وهي نوع من الأزهار.

نَـــلْ مـــن الأيَّـــامِ ثـــارا وانتَصِـــرْ منهـــا انتِصـــارا
بِشَـــرابٍ يُشـــبِهُ التُّـــفْ فَـــاحَ طِيبـــاً واحمِـــرارا
وشَـــقيقٍ جـــادَه الغـــي ثُ رَواحـــاً وابتِكـــارا
مثـــلَ مـــا أتـــرعَ ســـاقي الـــر رَاحِ أقـــداحاً صِـــغارا[3]

النارج: شجر ورقه أملس شديد الخضرة ويعتبر من الحمضيات قال فية السرى:

أَجرِ المُدامَ على نُجْحِ المَواعيـدِ وَجُدْ عليَّ برَيَّـا النَّحْـرِ والجِيـدِ
فقد تَنَبَّـــهَ مـــن إغفائِـــه زَهَـــرٌ كأنَ رَيَّاهُ رَيَّـــا المِســـكِ والعُـــودِ
وشَرَّدَ الصُّبحُ عنَّا اللَّيلَ فاتَّضَحَتْ سُطورُهُ البيضُ في راياتِهِ السُّـــودِ

(1) الديوان، ص24.
(2) المصدر نفسه ، ص104.
(3) المصدر السابق ، ص251.

ولاحَ للعينِ نارَنْجٌ كما اختَضبَتْ بالزَّعفرانِ ثُـدِيُّ النُّهَّـدِ الغِيـدِ[1]

الآذريون:

شجر أو نبات له ورق كورق الزيتون يميل إلى البياض[2] وهو فارسي.

قال فيه:

وروضةُ آذَرْيونَ قد زُرَّ وسْطَها نَوافجُ مِسْكٍ هيَّجَت قلـبَ مُهتـاجِ
تراها عيونـاً بالنهـارِ روانيـاً وعند غروب الشمس أزرارَ ديباجِ[3]

الليمون:

وصفه قائلاً:

واصـطبحناها علـى نهـ ـرٍ بصَـفوِ المـاءِ يَجـري
ظَلَّتْـهُ شَـجَراتٌ عِطرُهـا أطيـبُ عِطـرِ
فَلَـكٌ أنجُمُـهُ اللَّيـ ـمونُ مـن بِـيضٍ وخُضْـرِ
أُكَـرٌ مـن فِضَّـةٍ قـد شـابَها تلـويحُ تِبْـرِ[4]

النخيل:

فالنخلُ من باسقٍ فيـه وباسِـقَةٍ يُضاحِكُ الطَّلْعَ في قُنْوانِهِ الرُّطَبـا
أضحَت شماريخُه في الجوِّ مُطلِعَةً إما ثُرَيَّا وإمَّا مِعْصَـماً خُضِـبَا[3]

ويقول في موضع آخر:

وكأنَّ ظِلَّ النَّخلِ حـولَ قِبابِهـا ظِلُّ الغَمـامِ إذا الهجيـرُ تَوقَّـدا

---

(1) الديوان، ص168.
(2) نهاية الإرب ــ النويري، ص 221.
(3) المصدر السابق، ص 117.
(4) الديوان، ص223.
(3) الديوان، ص58.

من كلِّ خَضراءِ الذَّوائبِ زُيِّنَــتْ بِثمارِهــا جيــداً لهــا ومُقَلَّــدا[1]

وقال عن نبات شجر الشث ونبات الشيح:
قائلاً:

عربيٌّ روائحُ الشِّــيحِ والقَيــــ صومِ منــه والشَّــثِّ والطُّبَّــاق[2]

عاش السَّريّ في هذه الحياة وتعايش معها فعكس لنا تصويره ما كان فيها من بيئة نابضة بالحياة، فجاءت صورة الطبيعة حية متحركة بمختلف أنواعها.

(1) المصدر السابق، ص158.

(2) المصدر السابق، ص334.

الشيح: نبات. القيصوم: نبات أيضاً، الشث: شجر مثمر، الطباق: أيضاً شجر، وهذه الأنواع تداوي بها العرب.

الطبيعة المصنوعة

ونعني بها كل شيء هدى الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى صنعه ومهد له استقلاله إلى الحياة.

اهتم العباسيون بالصناعة والتجارة اهتماماً كبيراً وأصبحت بغداد من اكبر الأسواق في العالم [1]. إذن تطورت الدولة صناعياً.

كذلك تطور المعمار، كل ذلك صوره لنا الأدب,ومن هذا القصور: فقد أولاها الخلفاء العباسيون بالغ الاهتمام، فقد شملت دوراً واسعة وبساتين– ومسطحات مظللة بالأشجار– فأصبحت شامخة نضرة شهد لها التاريخ [2]:

قال السرى فى وصف قصر:

أنشأْتَه منزلاً في قلبِ دجلــةَ لا تمتــاحُ جَنَّتــه القــدران والقلبــا
صفا الهواءُ به والماءُ فاشــتَبَها كــأنَّ بينهمــا مــن رقَّــةٍ نَسَــبا
وأصبحَ الغيثُ مخلوعَ العِذار بهِ فليسَ يَخلعُ أبرادَ الحَيــا القُشُــبا[3]

ففى وصف رائع للقصر يبين موقعة قرب دجلة ويصف روضتة الغناء ونسيمه العليل الذي يفوح مسكا ًوتربته كأنها لؤلؤاً منثور وتحوى جوانبه الزبرجد والفضة فقد أبدع الشاعر ونقل لنا تذوقه الرفيع لهذه القصور وطبيعتها وما بها من جمال فهى صورة فائقة الروعة. ومن خلال ما جاء فى ديوانه من وصف لهذه القصور والبرك فقد تجلت لنا قدرته الفنية.

قال :

إذا القصورُ إلى أربابِها انتسَــبتْ أضحى إلى القِمَّةِ العَلياء مُنتَســبا
فَصِلْه لا وَصَلَتْكَ الحادثــاتُ ولا زالَتْ سُعُودُك فيــه تُنْفِــدُ الحِقَبــا

(1) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1994م، ص578.

(2) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ج4، ص378.

(3) الديوان ، ص 57.

بَــرٌّ وبحــرٌ وكُثبــانٌ مُدَبَّجــةٌ ترى النفوسُ الأماني بينهــا كَثَبَــا
ومنزِلٌ لا تزالُ الــدَّهرَ عَقوتُــه جديدةَ الرَّوْضِ جَدَّ الغيثُ أو لَعِبــا
حصباؤُه لؤلــؤٌ نَثْــرٌ وتُربَتُــه مِسك ذكيَّ فلو لــم تحَمِــه انُتهيــا
وكــلُّ ناحيــةٍ منــه زَبَرْجَــدَةٌ أجرى اللَّجَيْنُ عليها جدولاً سَــرِبا
وإنْ دعاكَ له ظِلٌّ فربَّ وَغــىً جعلْتَ ظِلَّكَ منها السُّمرَ والعَذَبا[1]

قال : يصف حصناً بناه سيف الدولة:

أعَدْتَــه عَــدَوياً فــي مناســبة من بعدِ ما كان روميّــاً مناســبُه
فقد وقى عرضَه بالبيدِ واعترضتْ طولا على منكِبِ الشِّعرى مناكبُــه
مُصغٍ إلى الجوِّ أعلاه فإنْ خفَقَتْ زُهْرُ الكواكبِ خِلناها تُخاطبُــه[2]

قال في وصف بركة للوزير المهلبي، وصف فوراتها، وشمعها المضيء ليلاً.

قائلاً:

بِرَكٌ تحلَّتْ بالكواكــبِ أرضُــها فَأَرَتْكَ وجهَ الأرضِ وهو سَــماءُ
رُفِعَتْ إلى الجــوزاء فوَّاراتُهــا عُمُداً تُصابُ بصَــوْبِها الجَــوزاءُ
كادَتْ تردُّ على الحَيــا أَعْطَافَــهُ لو لــم يُمِــلْ أعْطَــافَهُنَّ حَيــاءُ
مثلَ القَنا الخَطِّــيِّ قُــوِّمَ مَيلُــهُ وجَرَتْ عليــه الفِضَّــةُ البَيضــاءُ
حتى إذا انتشرتْ جلابيبُ الدُّجى وتكاثَفَــتْ مــن دونِهــا الظَّلمــاءُ
فرَّجْتَهــا بصــائحٍ إن تَعتَلِــلْ فلهنَّ من ضَرْبِ الرِّقــابِ شِــفاءُ
شَمعاً حملتَ على الرِّماحِ رماحَه فقــدودُهُنَّ ومــا حملْــنَ سَــواءُ
لقيَ النجومَ وقد طَلَعْــنَ بمثلِهــا وأعادَ جِنحَ اللَّيلِ وهو ضَــحاءُ[3]

---

(4) الديوان، ص 59. الكثب ــ القُرب.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

(3) المصدر السابق، ص 17.

الناظر إلى هذه القصيدة يتجلى له إبداع الشاعر. وكيف صور النجوم وكأن الأرض أصبحت سماء، وهذه فورات المياه تريد أن ترد للسحاب ما أعطاها ولكن يحجبها الخجل. فوصفها وصفاً دقيقاً مستخدماَ سحر البيان فخرجت البركة فى أزهى وصف لها، فيه جمال لنقل الصورة وخيال واسع استخدمه في تصوير هذه البركة.

وقال يصف جسراً:

كأنمـــا الجســـرُ فُوَيـــقَ المـــاءِ وســـــفُنه جانحـــــةُ الأفيـــــاءِ
شِبْهُ الطِّرازِ لاحَ فـــي الـــرِّداءِ كأنـــــه فـــــي خِلَـــــعِ الظَّلمـــــاءِ
دُهْمٌ من الخيل على رَوَاءِ[1]

ويصف بئراً حفرها في داره:

إنـــي هُـــديتُ لنعمـــةٍ مكنونـــةٍ فأثَرتُهـــا مـــن تُربـــةٍ وصَـــفاةِ
بئرٍ كأنّ رِشـــاءَها فـــي مائِهـــا سمراءُ قد رُكِـــزَتْ علـــى مِـــرآةِ
كافورةُ الصَّيفِ التي تحيـــا بهـــا مِنَّا النُّفُـــوسُ وَصِـــمَّةُ الشَّـــتَوَاتِ
طَوّقْتُها حجَـــراً ولـــو أَنْصَـــفْتُها طوَّقْتُهـــــا بقلائـــــدِ اللَّبَّـــــاتِ
مَلكت ثناءَ جـــوانحي فجميعُهـــا يُثني بما أَولَـــت مـــن الحَســـناتِ
ولَكَـــمْ مُنِيـــتُ بغيرِهـــا فكأنَّمـــا حاولتُ خيـــرَ مضـــيِّعِ الخَيـــراتِ
تُعطيك بعـــدَ الكَـــدِّ مـــاءً آجنـــاً طَرْقاً كفَقْدِ الماءِ فـــي الفَلـــواتِ[2]

وكأنه اهتدى إلى هذه النعمة الجميلة التي تحفظ الماء صافياً، وذاك الشكل الجميل للحجارة التي تحفه وكأنها قلادة في عنق حسناء. فقوله ماءً آجناً

(1) الديوان، ص24. الرواء ــ الماء.

(2) المصدر نفسه ، ص113.

الرشأ: الحبل.

طرقاً كأنه يصف هذه البئر وعطاءِها للإنسان الذي فقد هذه النعمة وهو ببيداء قاحلة.

الســـفن:

حيث تطورت في العصر العباسي صناعتها ونوع الخشب المستخدم وشكل الشراع، وفي نظام هيكلها، وقد ذكر بأن صناعها كانوا من العرب والفرس أكثر، فقد أنشأ لها داراً لتعلم صناعتها[1].

قال واصفاً لها:

وابنةِ بَرٍّ لـــم تَـــبِنْ عَـــنْ زُهْـــدِ أضحى بها البحرُ قريـــبَ العَهْـــدِ
تَعافُـــــه وهـــــو زُلالُ الـــــوِردِ فلـــيسَ تَحبُـــوهُ بِصَـــفْوِ الـــوُدِّ
إلاّ بِـــــرَبْطٍ عنـــــدَه وشَـــــدِّ لمَّـــا نَضَـــتْ مَلاحِـــفَ الإِفْرِنْـــدِ
واتَّشَـــحَتْ مـــنَ الـــدُّجى بِبُـــرْدِ توسَّـــطَتْ سِـــكْرَ صَـــفيحٍ صَـــلَدِ
وأشـــبَهَتْ واســـطةً فـــي عِقْـــدِ مُطلَّـــةً علـــى ركـــاب الوَفْـــد
كأنَّهـــــا أمُّ النَّعـــــامِ الرُّبْـــــدِ عَجاجُهـــا شَـــيَّبَ فَـــوْدَ المُـــرْدِ
واجـــــدةٌ بـــــالبَرِّ أيَّ وَجْـــــدِ تـــذكَّرَتْ طيـــبَ ثَـــراه الجَعْـــدِ
أيـــامَ تُغـــذَى بجَنـــىً كالشَّـــهْدِ ولَمْـــعِ بَـــرْقٍ وحَنـــينِ رَعْـــدِ
فَهْـــيَ تُعيـــدُ أَنَّـــةً وتُبْـــدي كمـــا يَـــئِنُّ مُوثَـــقٌ فـــي القَيْـــدِ
لـــولا امتـــدادُ الطُّنُـــبِ المُمْتَـــدِّ لَشَـــمَّرَتْ تَشـــميرَ ذاتِ الجِـــدِّ
فصـــافَحَتْ خَـــدَّ الثَّـــرى بخـــدِّ[2]

وفى هذه الأبيات يصف هذه السفينة وهى مصنوعة جديدة لم تدخل البحر بعد ويبين شكلها ولونها وهى تئن من الحبال التي وثقت بها، وصفه للسفن أو

(1) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ج4، ص374.

(2) الديوان، ص163. العربة: سفينة، والإفرند: جوهرة السيف أو علامة، سكر: ما سد بـــه النهـــر، الربد: الفيرة، الطنب: الحبل.

العربة أو ما يطلق عليها من أسماء مثل زنجية، وغيرها فقد وصفها وذكرها عدة مرات فى الديوان،ومن خلال هذا الوصف،يتضح لنا الاهتمام بها من جانب الشاعر وأهل العصر.

وقال عنها أيضاً:

وزنجيـــة عرفـــت بالإبـــاق فلـــيس لهـــا راحـــة مـــن وثـــاق

إذا اضطربت الماء من حولهـــا رأيت الجبـــال بهـــا فـــى تلاقـــى

يثـــور بهـــا قســـطل أبـــيض على القوم غير كثيف الـــرَّواق[1]

وكذلك يصفها هنا وقوله في البيت الثاني إشارة واضحة إلى التطور الصناعي ، أي أنها أصبحت عالية وشامخة ودوماً في وصفها دقيق، وصف كل أشكالها وما تصنع به وهو معجب بها.

الدولاب(*): وهى الساقية

قال فيه:

من سواق على خضراء تحسبها مخضرة البسط سلوا فوقها القضبا

كأن دولابهـــا,إذحـــنَّ مغتـــرب نأى فحن إلى أوطانـــه طربـــا[2]

وقال عنه أيضاً:

يتخيل الصوت الذي يصدر من حركة الدوران فيها كأنه إنسان يعانى شجن الغربة

يصف مُزَمَّلة(*):

ومُعطيةٍ صَفْوَ مـــا اســـتودَعَتْ مســـــامحةً عنـــــدَ إعطائِهـــــا

تُسِـــــرُّ لَنـــــدمانِها هيبـــــةً علـــــى أنـــــه عبـــــدُ آلائِهـــــا

فتمنحُـــــه صـــــفوَ مكنونِهـــــا وتَكتُمُـــــه جُـــــلَّ أقـــــذائِها

وتُحدِثُ في الماءِ بـــردَ الشَّـــمالِ إذا سُـــدَّ فُوهـــا علـــى مائِهـــا

---

(1) الديوان، ص: 319. (*) الدولاب: آلة يستقى به الماء من أصل فارسي معرب، انظـــر: لســـان العرب، ابن منظور، مادة د لا ب .

(2) المصدر نفسه، ص57 .

يُصوِّبُ فـــي طَـــرفِ أنفاسِـــها ويشربُ مـــن جُـــرحِ أحشـــائِها[3]

وهى مزملة كريمة بما تعطيه لشاربيها وكأن لسان حالها يقول اشرب فالماء البارد فيه راحة للبدن.

يصف رحى[*]:

ومنـــــزلٍ رَقَّ بـــــهِ الهـــــواءُ وطـــابَ للشَّـــرْبِ بـــهِ الثَّـــواءُ
بَنِيَّـــةٍ مـــا حولَهـــا بِنـــاءُ كمـــا أُقـــيمَ فـــي يـــدٍ إنـــاءُ
تَـــركُضُ فيـــه فـــرسٌ دهمـــاءُ تَكنُفُهـــا عَجاجَـــةٌ بَيضـــاءُ
تجري فـــإن أعوزَهـــا الفَضَـــاءُ مَيـــدانُها وجســـمُها سَـــواءُ[1]

يصف هذه الآلة وما يطحن عليها كأنها فرس دهماء ويتناثر ذاك الأبيض فوقها .

نيران:

حمراءُ لم تَكذِبْ ولـــم تَصـــدُق لهـــا لِســـانٌ قَـــطُّ لـــم يَنْطِـــقِ
يَفْرُقُهـــــا العـــــالِمُ لكنَّهـــــا قَـــطُّ مـــن العـــالِمِ لـــم تَفَـــرَق[2]

كانون نار:

تَرى به الجَمْـــرَ إذا مـــا صَـــفا يُشـــرِقُ مِثـــلَ الـــذَّهَبِ المُشـــرِقِ
جَمرَتُه تُشـــرِقُ مـــن عَبْرَتـــي وحَـــرُّه مـــن قلبـــيَ المُقْلِـــقِ
إذا بَـــدا نَحـــوَكَ شـــبَّهْتَهُ بقَهْـــوَةٍ فـــي قَـــدَحٍ أزرَقِ[3]

---

(3) المصدر السابق، ص19. (*) التي يبرد فيها الماء ، انظر: الافصاح في شرح اللغـة، حسـين يوسف عبد الفتاح السعيد، دار الفكر العربي، ط2، 1929م، ج2، ص 363.

(1) الديوان، ص 19. (*) رحىّ : رحا حجر يطحن به، لسان العرب، ابن منظور، مادة رحىّ.

(2) المصدر نفسه، ص 329.

(3) المصدر السابق، ص 344.

يصف الجمر ولهبه كأنه ذهب يتلألأ. ووصف الكانون من الأشياء الجديدة التي اهتم بها في العصر العباسي.

أيضاً قائلاً فيه:

وأزهرَ وَضَّاحٍ يَــروقُ عيونَنَــا إذا ما رَمينــاه بِلَحْــظِ النَّــواظِرِ
له أربعٌ تأبى السُّرى غيرَ أنَّهــا تُصافِحُ وجهَ الأرضِ مثلَ الحوافرِ
يَقِلُّ جسوماً بعضُها من مُــورَّدٍ وسائرُها في مثلِ صِــبْغِ الــدَّياجرِ
نواصِــلُه أيــامَ للقُــرِّ ســطوَةٌ ونهجُرُه أيــامَ لَفْــحِ الهَــواجرِ[1]

وصف الطعام:

فقد اهتم العباسيون بالطعام وتفننوا في موائده وتقديمه[2].

قال الشاعر يصف حملاً مشوياً:

أَنعتُــــه مُعَصْــــفَرَ البُــــرْدَيْنِ أبــيضَ قــاني حُمْــرَةِ الجَنبــينِ
خُلِّفَ شَــهْرَيْنِ علــى الخِلْفَــيْنِ ثــم رَعَــى بعــدَهُما شَــهْرَيْنِ
فجسمهُ شِــبرانِ فــي شِــبْرَيْنِ يا حُسْنَهُ وهــو صَــريعُ الحَــيْنِ

يقول عنه ما أطيبه وهو صغير السن إذاً لحمه شهياً ويواصل واصفاً له :

تَعرُقُــــه مُرْهَفَــــةُ الحــــدَّيْنِ بكَــفٍّ شــاوٍ عَطِــرِ الكَفَّــيْنِ
واقعــةٌ فيــه سِــهامُ العَــيْنِ بــينَ ذِراعَــيْنِ مُفَصَّــلَيْنِ
كَســارِقِ حُــدَّ مــن اليَــدَيْنِ وطَــرَفٍ مُســتَوقِفِ الطَّــرْفَيْنِ
يُريــكَ مِــرآةً مــن اللُّجَــيْنِ مُذْهَبَــةَ المَقــبِضِ والــوَجْهَيْنِ
شَــقَّ حشــاه عــن شَــقيقَتَيْنِ أُخْتَــيْنِ فــي القَــدِّ شَــبيهَتَيْنِ

(1) الديوان، ص240.

(2) العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص74 .

كمـــا قَرَنْـــتَ بـــينَ كَمْـــأَتَيْنِ أو كُرَتَـــيْ مِسْـــكٍ لَطيفَتَـــيْنِ
إن شِـــينَ ذُو رَوْقَـــيْنِ نَـــاجِمَيْنِ فإنَّـــه زَيْـــنٌ بِغَيْـــرْ شَـــيْنِ[1]

ويصفه قائلاً قد فصل تفصيلاً جيداً فصل لحمه عن عظمه كأنه أصبح أمامك في مأدبة، والعيون حوله شاخصة، من خلال هذه الأبيات نلمس حب الشاعر الشديد إلى هذا النوع من الطعام.

قال في دجاجة حماضية:

دَجاجـــةٌ فـــي شَـــبَهِ السَّـــمَنْدِ تَليـــــدَةٌ وفخرُهـــــا بالهنـــــدِ
عظيمةُ الـــزَّوْرِ بِصَـــدْرٍ نَهْـــدِ أجريتُ منها فـــي مَجـــالِ العِقـــدِ
مُرهفـــــةً ذاتَ شَـــــباً وحَـــــدِّ لغيـــرِ مـــا ذَحْـــلٍ وغيـــرِ حِقْـــدِ
بل رغبةٌ فيهـــا شـــبيهَ الزُّهْـــدِ ولم تَـــزَلْ بالمـــاءِ كـــفُّ العَبَـــدِ
وفُصِّلَتْ أعضـــاؤها مـــن بَعْـــدِ مع لُـــبِّ أُتْـــرُجٍّ كلـــونِ الشَّـــهْدِ
صبَّ عليها اللوزَ مثـــلَ الزُّبْـــدِ وغُلِيَـــت بعـــدُ بمـــاءِ الـــوَرْدِ
ثم أتى يســـعَى بهـــا كالمُهـــدي كأنهـــا قـــد بُخِّـــرَتْ بالنَّـــدِّ[2]

يبين لنا طبخ الدجاج مع الحماض وذكر طريقة الطهي بماء الورد والبهارات الأخرى ليصبح ذا طعم ورائحة طيبة.

ومن الطعام إلى المشروب قال واصفاً:

كيزان الفقاع: من المشروبات:

جُدْ لي بها للشَّرخِ مـــن نُشَّـــابِها لم تَشْرَبِ السِّـــنُّ قُـــوى شَـــرابِها
فهيَ خِلافُ الـــرّاحِ وانتســـابُها في قِـــدَمِ العُمـــرِ إلـــى أحقابِهـــا
دَخِينـــةٌ والـــثلجُ مـــن تُرابِهـــا خضرٌ جرَى الإفرندُ في أثوابِهـــا
فاسودَّتِ الأطواقُ فـــي رِقابِهـــا تفوحُ ريَّا المِسكِ فـــي قِرابِهـــا[1]

---

(1) الديوان، ص 445.

(2) الديوان، ص162.

وصفه لصيد السمك :

وهو معجب بصيد السمك فقد جاء ذكره في الديوان عدة مرات تارة يصف الشبكة وما جلبته من رزق، وتارة يصف الصائد.

يقول

وشـــاحبِ اللَّبســـةِ والأعضـــاءِ أشـــعثَ نـــائي العَهـــدِ بالرَّخـــاءِ

أفضى به العُدْمُ إلـــى الفَضـــاء فوجهُـــــه للضِّـــــحِّ والهـــــواءِ

أغبرَ يحوي الرزقَ من غَبـــراءِ خَفيفـــــةٍ ثقيلـــــةِ الأرجـــــاءِ

كأنَّهـــــا هَلهلـــــةُ الـــــرِّداءِ كلَّفَهـــا لحـــظَ بنـــاتِ المـــاءِ

بأَعيُنٍ لم تُـــؤتَ مـــن إغضـــاءِ كثيرةٍ تُربـــي علـــى الإحصـــاءِ[2]

يصف الصياد وهو يحمل هذه الشبكة الخفيفة ذا ت الأعين مصدر رزقه فقوله شاحب اللبسة وصف جيد للصائد.

وفي موضع آخر يقول واصفاً للشبكة:

يـــا رُبَّ جســـمٍ كلُّـــه نـــواظرُ بـــآمُقٍ ليسَـــت لهـــا مَحـــاجرُ

تستُرُ عنك الشئَ وهـــو ظـــاهرُ محبوبـــــةٌ خلالُهـــــا الغَـــــوادِرُ

إذا ارتـــدَتْها اللُّجَـــجُ الزَّواخِـــرُ وَضَـــمَّها مِثـــلَ المِـــرَاةِ مـــائرُ

جاءَت من الرِّزقِ بهـــا جـــواهرُ صَـــــغَائِرٌ تـــــوُمِضُ أو كبـــــائرُ

كأنهـــــا إذا انتحاهـــــا النـــــاظرُ مَخـــازِنُ الفِضَّـــةِ أو خَنـــاجرُ[3]

قال مرة أخرى يصف صائد السمك:

وبـــاكِرٍ لِغَيْـــره مـــا يُـــرْزَقُ مُثْرٍ به طَـــوْراً وطَـــوْراً مُخْفِـــقُ

يغـــدو وجِلبـــابُ الظَّـــلامِ أَوْرَقُ والأفـــقُ لا جَـــوْنٌ ولا مُخَلَّـــقُ

---

(1) المصدر نفسه، ص76،

الفقاع: شراب من الشعير.

(2) الديوان، ص12.

(3)المصدر نفسه ، ص246.

يُهَلهِلُ الصَّـــنعةَ وهـــو مُوثَـــقٌ يلحَقُ في الماءِ التـــي لا تُلْحَـــقُ[1]

وصف الحمامات:

كان بها قسم بارد ــ معتدل ــ حار.

وتغطى الحمامات بقباب منها فتحات زجاجية، ومزينات.

يقال حمامات الشام من أقدم الحمامات، كان يوزع عليها كل جمعة العطر، والند مسك ليطيب روائحها[2].

وقال يصف حمام:

ولمَّا اصطَحَبْنا والخُمارُ يَصُـــدُّنا عن الكأسِ عُجْنا والغَلائِلُ تُنـــزَعُ
إلى وُسْعِ حَمَّـــامٍ كـــأنَّ سَـــماءَهُ عَقيقٌ بجَامـــاتِ اللُّجَـــينِ مُرَصَّـــعُ
وفي الصَّدْرِ قَيْناتٌ وشُرْبُ مُدامَةٍ يَلَذُّ بها مَرآىً ومـــا ثـــمَّ مَســـمَعُ
على سَبَجٍ من أرْضِهِ وجُيوشُـــه قِيامٌ على أرجائِهـــا وهـــي خُشَّـــعُ
قَضَيْنا بهِ عنـــدَ الصَّـــباحِ لُبانَـــةً وعُجْنا إليها والعَواتـــقُ هُجَّـــعُ[3]

وقوله إنهم يذهبون إليه باكراً وكأنما تناولوه من خمر ما زال عالق بهم ومن ثم يصف هذه الحمامات كأن سقفها مزين بالذهب والفضة.

وقال عنه أيضاً:

ومَنزلٍ يَتحـــامى أهلَـــه الخَفَـــرُ ويَفْضُلُ البَدْوَ في نَعمائِهِ الحَضَـــرُ
فيه معَ الناسِ أشباهٌ لهم بَعُـــدَتْ في الزِّيِّ عنهنَّ إنْ لم تَبعُدِ الصُّوَرُ
وفَمن ذكورٍ عُراةٍ كالذُكورِ به ومن إناثٍ عليها الوَشي والحِبرُ
بَدائِعٌ لَطُفَـــتْ أفكـــارُ مُبْـــدِعِها حتّى تَفجَّرَ عن ماءٍ بهـــا الحَجَـــرُ

---

(1) المصدر السابق، ص343. الجون: الأسود والأبيض، مخلق: فيه غيوم.

(2) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو الخليـــل، دار الفكـــر بدمشـــق، نرويـــة، ط1، 1994م، ص578.

(3) الديوان، ص288.

فكلٌّ ناحيةٍ مــن جُــدْرِه صَــنَمٌ وكلٌّ ناحيــةٍ مــن سَــقْفِه قَمَــرُ
صَفَتْ عن الناسِ فيه نَعْمَةٌ وُصِفَتْ فكلٌّ صَفْوِ نَعــيمٍ عنــدَها كــدَرُ[1]

وهى موجودة فى المدن ويصف أشكالها وما بها من معمار جميل ويحكى عن النعيم الذي يجده الإنسان فيها

الشمع:

قال فيها:

وباكيــــــةٍ ليلَهــــــا كلَّــــــه تحــــاكي المصّــــباح بمصــــباحها
بَصــــــيرةُ ليــــــلٍ ولكنَّهــــــا ضــــــريرَتُه عنــــــدَ إصــــــباحِها
نَجُــــزٌ لإصــــــلاحِها رأسَــــــها فإفســــادُها عنــــد إصــــــلاحِها[2]

وقال يصف شمعاً أهدى إليه:

جــــــاءتْ هــــــديَّتُكَ التــــــي هــــي شمسُــــنا بعــــدَ الغيــــاب
حلَّيْــــــتَ أفْــــــقَ مَحلِّنــــــا منهــــــا بــــــنَجْمٍ أو شِــــــهاب
بسَــــــليلَةِ النَّحــــــلِ الكَريــــــ م شــــــقيقةِ النُّطَــــــفِ العِــــــذاب
صُــــــفر الجُســــــومِ كأنمــــــا صِــيغَتْ مــن الــذَّهَبِ المُــذاب
فكــــــأنَّ مــــــاءَ الحُســــــنِ إذ شَــــرَقَتْ بــــه مــــاءُ الشَّــــباب
فــــــإذا ذَكَــــــتْ نيرانُهــــــا لــــيلاً وجَــــدَّت فــــي التهــــاب
أنســــــاكَ طِيــــــبُ دُخانِهــــــا طِيــــبَ العبيــــرِ أو المَــــلاب[3]

شمع جميل اللون كالذهب المذاب وعطرها مثل الزعفران تحترق لكي تضيء لنا.

---

(1) المصدر نفسه، ص239–240.

(2) الديوان، ص129.

(3) المصدر نفسه، ص67.

النطق: الماء الصافي، الملاب: طيب يشبه الزعفران.

السراج:

قائلاً فيه:

وحيَّـــةٍ فـــي رأسِـــها دُرَّةٌ تَسبَحُ في بحـرٍ قصـيرِ المَـدى
إنْ هي غابَتْ فـالعَمى ظَـاهِرٌ وإنْ بَدَتْ بانَ طريـقُ الهُـدى[1]

فهذا السراج له الفضل فأن ظهر اهتدينا ا لطريق وإن غاب عميت أبصارنا

القلم قال عنة:

أخـــرسُ يُنبيـــكَ بإطراقِـــهِ عن كلِّ مـا شِـئتَ مـن الأمـرِ
يُذري علـى قُرطاسِـي دمعـةً نَمَّـت عليـه عَبـرةٌ تَجـري
كعاشِـقٍ أخفَـى هـواه وقـد نَمَّـت عليـه عَبـرةٌ تَجـري
تُبصِـرُهُ فـي كـلِّ أحوالِـه عُريانَ يكسو النـاسَ أو يُعـري
يُـرى أسـيراً فـي دواةٍ وقـد أطلَـقَ أقوامـاً مـن الأَسـرِ[2]

وقال يصفه أيضاً:

يذكر سرعته ويشخص صورته كأنه ساجد وراكع:

له قَلَمٌ تجري النجـومُ بجَرِيـه يُطيعُ له حَـتْمَ القَضـاء ويَسـمعُ
يُديرُ سُـعوداً أو نُحوسـاً وإنَّـه منَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ في الجَوِّ أسـرَعُ
إذا ما امتطى منه ثلاثَ أنامـلٍ بَدا ساجِداً من تَحتِها وهي رُكَّـعُ[3]

الدفتر: قال فيه:

وأدهَـمَ يُسْـفِرُ عَـنْ ضِـدِّهِ كمـا سَـفَرَ اللَّيـلُ إذا وَدَّعـا
بعثْـتُ إليـكَ بـه أخرَسـاً يُنـاجي العُيـونَ بمـا اسُـتودِعا
صَـمُوتٌ إذا زُرَّ جِلبابُـهُ أريـبٌ فـإنْ حَلَّـهُ أمتَعـا[4]

---

(1) الديوان، ص170.

(2) المصدر نفسه، ص 237.

(3) المصدر نفسه، ص 289.

(4) المصدر السابق، ص286.

يصف بأنه أدهم لكن يمحو الظلام –اخرس ينبيك ويوضح المعاني – نجد أن السرى وصفة له رائع لعل عملة ساعده في ذلك

قال يصف محبرة:

ولقد مَرَرْتُ على المحدِّثِ مَـرَّةً وإذا بحَضـــرَتِه ظِبـــاءٌ رُتَّـــعُ
وإذا ظِباءُ الأُنْسِ تَكتُبُ كُلَّ مـــا يُملي وتُثبِتُ مـــا يَقـــولُ وتَســـمَعُ
يَتجاذَبونَ الحِبرَ مـــن مَلمومَـــةٍ بَيضـــاءَ تَحْمِلُهـــا عَلائِـــقُ أَربَـــعُ
من خالِصِ البَلُّورِ غُبِّـــرَ لَونُـــه فكأنَّـــه سَـــبَجٌ يَلـــوحُ ويَلمَـــعُ[1]

الطرديات

يقال إن خلفاء العباسيين والوزراء أولوا الصيد اهتماماً كبيراً، أنفقوا فيه أموالاً طائلة لجلب وتربية الباز ، والفهود، والكلاب، وجلَّ ما يستخدم له، ومن هذا التطور أزدهر شعر الطرديات فاهتم الشعراء به ونعتوه نعتاً جميلاً[2].

قال السَّريّ في الصيد كدأب شعراء عصره لم يخلُ من طردية أو طرديات يصف كلاب الصيد:

غدوتُ بها مجنونةً في اغتـــدائِها تُلاقي الوحوشُ الحَيْنَ عندَ لقائِهـــا
لهن شياتٌ كَالدَّواويجِ أصـــبحتْ مُولَّعَـــةً ظَلْماؤُهـــا بضـــيائِها
وأيـــدٍ إذا سَـــلَّت صـــوالجَ فِضـــةٍ على الوحش يوماً، أذهبت بدِمائِها[3]

وصف الصيد بالفهد.

وتُبْعَـــثُ للبـــرِّ وحشـــيّةٌ تسوقُ إلى الوحشِ يومـــاً عَصـــيبا
مُؤدبـــةٌ يُرتَضـــي فعلُهـــا ولـــم نـــرَ ليثـــاً سِـــواها أديبـــا

(1) الديوان، ص285.
(2) العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص486.
(3) الديوان، ص22.

وتُركيَّـــةُ الوَجـــهِ تُبـــدي لنـــا إخـــاءً فصـــيحاً ووجهـــاً جَلِيبـــا
تُعـــانِقُ إن وثَبـــتْ صـــيدَها عنـــاقَ المحـــبِّ يُلاقـــي حبيبـــا
طِراداً صحيحاً وخُلْقـــاً صَـــبيحَاً ووَثبـــاً مليحـــاً وأمـــراً عَجيبـــا
فقَـــد مَلكـــتْ وُدَّ أربابِهـــا فكـــلٌّ يخـــافُ عليهـــا شَـــعوبا[1]

وهى مجلوبة تحمل صفات حسنة، تثب وثبَاً صحيحاً فهى محل اهتمام.

وهنا يصف ثلاثة كلاب وجهن لصيد ظباء:

إذا ما دعونـــا لاحِقـــاً ومُعانِقـــاً وقِيـــدَ لـــدَيْنا واثِـــبٌ ومُخـــالِسُ
فذلك يَومٌ جانبَ السَّـــعدُ سِـــرْبَه وقُوبِلَ بالنَّحْسِ الظِّبـــاءُ الكَـــوانِسُ
كأنَّ جُلودَ الوَحْشِ بـــينَ كِلابِـــه وقد دَمِيَت أجيادُهـــا والمَعـــاطِسُ
مُصَندَلَةُ القُمصانِ شُقَّتْ جُيوبُهـــا ورُقرِقَ فيها الزَّعْفَرانَ العرائِسُ[2]

يطلق عليها أسماء (واثب ــ ومخالس) وهى مخصصة للصيد، ويصف هذا اليوم بالسعد لهم مما جلبوه من صيد وبالنحس للغزلان المستترة في بيتها.

يصف الصيد بالكلب أيضاً:

قُمْنا بها نَهْتِـــكُ أســـتارَ الظُّلَـــمْ وبينَنـــا ذاتُ ضَـــجيجٍ تَختَصِـــمْ
إنْ نامَ غِزلانُ الصَّريمِ لـــم تَـــنَمْ نَقرَعُهـــا بـــينَ الوِهـــادِ والأَكَـــمْ
قَرْعَ النَّواقيسِ إذا الصُّبحُ ابتَسَـــم تـــؤمٌ مخلـــوعَ العِـــذارِ حيـــثُ أَمّ
أبيضَ مُسوَدَّ الخِـــلالِ والشَّـــيَم له على الصَّـــحْبِ أَيـــادٍ وكَـــرَمْ
ونِعَمٌ هُنَّ علـــى الـــوَحْشِ نِقَـــمْ أسرعُ قبلَ الشَّدِّ من سَـــيْلِ العَـــرِمْ
يَقدُمُنا إلـــى الكِنـــاسِ المُكْتَـــتَمْ مُسائِلاً عنه الصَّـــبا وهـــي تَـــنُمّ
حتى إذا الشَّربُ تراءَى من أَمَمْ حيران قـــد ألبســـه الـــذّعْرُ لمّـــمْ
صَدَّ فَـــوافَى ثـــم أَلقَـــى للسَّـــلَمْ وظَـــلَّ نَهبـــاً بـــالأَكُفِّ مُقتَسَـــم[1]

---

(1) الديوان، ص73

(2) المصدر نفسه، ص264.

يذهبون إلى الصيد وكان لديهم طسوت (طست) لعلها آلة يقرعونها لإثار الصيد، وكلبهم يدرك الظبي الكامن فهي مدربة، تجلب لهم الصيد الوافر.

وقال يصف الصيد بالبندق[2]:

منسوبةٌ إلـــى الرِّمـــاحِ الـــذُّبَّلِ ... قد صُبِغَت صِبْغَ الحريقِ المُشَـــعلِ
وصائباتٌ لم تَحِـــد عـــن مَقتَـــلِ ... تقابلُ الخَطْـــبَ خِقـــافَ المَحفِـــلِ
كأنَّهـــا مخروطـــةٌ مـــن جَنـــدَلِ ... إن يُقنَصِ الطَّيـــرُ بهـــا لا يَعـــدِلِ
أو تُدعَ منها الصَّـــاعداتُ تَنـــزِلِ ... فهنّ من هـــاوٍ ومِـــن مُجَـــدَّلِ[3]

صيد الطير :

يحلو لهم صيده دَقْ المطر وانتشر النسيم وطابت الدنيا آنذاك يحملون الشرك وما يصيدونه به قائلاً:

فـــالطَّير مـــن حـــرٍّ، دجـــيً ... مَلَكَـــــــــهُ ومُســـــــــتَرَق
وحـــــائر يفْـــــري الســـــكا ... كـــــين، إذا قيـــــلَ عَلِـــــقْ
وذي ســـكونٍ قـــد قضـــى، ... وخـــــافقٍ فيـــــه رمَـــــقْ
كـــــذلك الأرزاق مـــــن ... صَـــــفْوٍ حميـــــدٍ ورَونَـــــقْ[4]

---

(1) الديوان، ص417.

(2) البندق: شكلها كروي تتكون من الطين يرمي بها الطير، انظر: العصر العباسي الثـاني، شـوقي ضيف.

(3) الديوان، ص359.

(4) المصدر نفسه، ص 263.

وإن صح القول فإن طردياته جاءت في إطار من سبقوه من شعراء عصره مثل أبى نواس وغيرهم، فقد كثر شعرهم في وصف الصيد وأدواته وكان راجعاً لاهتمام الخلفاء به ولأنها تراثيات اهتم بها العرب كثيراً من القدم فالسري جاء شعره حافلاً بوصفها.

إن الشاعر وصف الطبيعة بكل أشكالها : صامتة ــ حية ــ مصنوعة فجاء وصفه ككتيب أطلعنا فيه على الطبيعة العباسية.

المبحث الثاني
المـــدح

المدح هو الثناء الحسن[1]، ويطلق المدح أو المديح في المصطلح الأدبي على ذلك الغرض الشعري الذي يهدف فيه الشاعر إلى إبراز فضائل الممدوح ورفع مكانته وهذه الفضائل، وذكرها قديماً أو حاضراً بينها روابط أساسية يقال: "إن الشعراء منذ أن عرفوا تلك الطبيعة في الإنسان اتخذوها سبباً إلى الأقوياء"[2].

ويقال إن المدح: "من أقدم الفنون الأدبية، التي عرفها البدائيون، يوم رفعوا صلواتهم إلى أربابهم وتفننوا بأمجادهم"[3].

وهناك رأي يرى أن المدح وسيلة جيدة للدعوة للخير وذكر المحاسن، والفضائل، لما يحدث من نشوة وارتياح في النفس[4].

وهذا الفن (المدح) من فنون الشعر التي أخذت حظاً أوفر من الرعاية والاهتمام، حيث أن هذا الفن استطاع أن يثبت في الناس التربية الخلقية القويمة، والحث على الفضائل، ومكارم الأخلاق. وإن أصبح وسيلة من وسائل الرزق والتكسب لدى كثير من الشعراء.

يقال: أن العرب قديماً لا تتكسب بالشعر وإنما: "يضع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها"[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور ، مادة (مدح).

(2) النقد الأدبي، بدوي طبانة، مطبعة مخيمر، بمصر، 1954م، ص 281.

(3) فن المدح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقه، منشورات دار الشـــرق الجديـــد، الطبعـــة الأولى، 1962م، ص7.

(4) انظر القصيدة المادحة ومقالات أخر، عبد الله الطيب، دار الأصالة الخرطوم، الطبعـــة الثانيـــة، 2004م، ص9.

(5) العمدة، ابن رشيق، ج1، ص49.

كان المدح يدور حول إطار معين من حيث الموضوع وذكر الصفات الخُلقية. أو مقدماته الطللية أو المعروفة سابقاً ولكن توالت تغيرات في الشكل، والمضنون فظهر تخصيص في فن المدح، حيث اهتم الشعراء بالفضائل النفسية لدى الممدوح، ومدح صفاته وما حوله، ففي العصر العباسي وما وصل إليه والبيئة التي عاش فيها الشاعر السري الرفاء. كل ذلك دفع شاعرنا أن يتناول فى شعره هذا الفن.

فقد مزج بين القديم والجديد وصار مذهباً سائداً، تفرد بإضافة الكثير.

إذن ساد هذا المذهب. حيث وجود الحمية العربية التي رسخت في نفوس الناس، من خلفاء وأمراء، ووزراء، وعامة الناس فهزت مشاعرهم، بذلك حرصوا على الشعر والشعراء، وكان لخلفاء بني العباس دور بارز في هذا المجال. يقال: "ظهر خلفاء بنو العباس، وحافظوا على لغة القرآن الكريم، وشجعوا العلماء على مدارستها، ووضع أخبارها، وأنسابها، وكان حظهم في الوظيفة التفوق فيها، بذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر في هذا العصر وحراسه"[1].

هؤلاء هم أمراء الدولة الحمدانية التي قال فيهم ابنهم:

ونحن أنـــاس لا توســـط بيننـــا لنا الصّدر دون العالمين أو القبر[2]

أما قول السري الرفاء فيهم، فكان جل شعره حولهم ولعل ما أدرج عنهم من القول أو لتحقيق ما في نفس الشاعر، جعل نظمة فيهم قائلا:

هم زَيَّنُوا أُخرَياتِ الدَّهرِ مَكرُمةً وقَبلُ زِينَتْ بهـــم أيامُـــه الأُوَلُ[3]

والحديث عن المدح عند شعراء العرب، في ظل القديم والجديد، والإبداع في اللفظ، وجزالته. من خلال مدح الشاعر الرفاء، فقد ظل له إبداعات يظهر لنا فيها نبوغه. أي أن شعره لوحة أحكمت قصائدها، بمقدماتها،

---

(1) انظر العصر العباس الأول: شوقي ضيف، ،ص139.

(2) ديوان أبو فراس الحمداني، دار الكتاب، بيروت، ص127.

(3)الديوان ، ص353.

وخواتمها، ووحدة موضوع، ووصف بارع بألوان جديدة، فسجلت لنا ما دار فى العصر وإمارة الحمدانيين وخاصة قائدهم الأول (سيف الدولة) فهو يراه، حامي الثغور ليث يصول، كريم، عطاء.

يقول فيه:

هو الليثُ الذي إن يَحْمِ أرضــاً فكلُّ فِجاجِ تلــك الأَرضِ غــابُ[1]

وقال:

حَمَيْتَ يا صارمَ الإسلامِ حوزتَه بصارمِ الحدِّ حتى عَــزَّ جانبُــه[2]

وهنا مدحه للأمير تتجلى فيه النزعة الدينية.

ويطول مدحه للأمير سيف الدولة، ويردد ذلك النصر حققه الأمير ضد الروم فإن هذا الوصف لتلك المعارك وللوقائع الحربية، حيث تكاد قصائده لا تخلو من ذكرها.

قال:

في كلِّ عامٍ غزوةٌ يَقضــي بهــا أَرَبَ القَنــا وينــالُ مــن آرابِــه
أوفى فســدَّ شِــعابَهم بعَرَمْــرَمٍ يغشى الفضاءَ الرَّحْبَ سَيلُ عُبابِــه
كالطَّوْدِ لا تَثْنيــهِ عــن مُتمنِّــعٍ حتــى يَــدُقَّ رقابَــه برقابِــه
تُزْجي المَنُونَ جيــادُه مخزومــةً بالحَزمِ أو يُحْدَى الــرَّدى بركابِــه
حتى تفسَّحَ في مجــالسِ قَيصَــرٍ متحكِّمــاً فــي تاجِــه ونهابِــه
اللهُ جــرَّدَ مــن علــيٍّ سَــيفَه فحمى وذَبَّ عن الهُدى بذُبابِــه[3]

مرة أخرى يمدح سيف الدولة ويذكر بعض وقائعه لعليا.

قائلاً:

هِيَ الصَّوارمُ والخطِّيــةُ الــذُّبُلُ والحربُ كاشرةٌ أنيابُهــا عُصُــلُ

---

(1) الديوان، ص29.

(2) المصدر نفسه، ص31.

(3) المصدر السابق، ص37.

واللَّيثُ أصحَرَ حتى لا حُصونَ له ولا معاقــلَ إلا البِــيضُ والأَســلُ
والرُّومُ تَبذُلُ ما رامَــت أسِــنَّتُه وهَل لهــا بالمنايــا أقبلــتْ قِبَــلُ
منه الكتائبُ والرَّايــاتُ مُوفِيــةٌ على الخليج ومنه الكُتْبُ والرُّسُلُ[1]

فهنا السري الرفاء يذكر غزوات الأمير كأنه يتأهب للحرب دائماً، فهو شجاع لا يخاف. وخيوله مدرعة لا تخشى، وسيفه مسلولاًوهو يصحر في هذا الصحراء ورياته مشرعة لا يصده شيء.

ويردد الشاعر السرى الرفاء نشوة هذا النجاح للأمير الحمداني، وارتياح الشاعر لوصف هذه المعارك فجاءت في لوحة جميلة ففي قصيدة التي يمدحه بها ويذكر مواقفه ضد الروم أيضا.

قائلاً :

وَقائِعُ مثــلُ مــا بــدأَتْ تعــودُ وخيــلٌ مــا تُحــطُّ لهــا لُبُــودُ
وفتيــــــانٌ تَقِيَّــــــتُهم دُروعٌ مُضــــاعفةٌ وصَــــبرُهمُ عَتيــــدُ
وتعــــرين أســــفار الأعــــادي تمائمــــه إذا ارتــــاعَ الحديــــدُ(أ
وأيــامٌ علــى الإســلامِ بِــيضٌ وهنّ على العِــدا حُمْــرٌ وسُــودُ

إلى قوله:

فيومَ الحربِ تُطرِبُــكَ المــذاكي ويــومَ السِّــلمِ يُطرِبُــكَ النَّشــيدُ
تحاسَدَتِ الملوكُ فلــيسَ تَخبــو ضَــغائُنها ولا تَفنــى الحُقــودُ
وأنتَ الــدَّهرُ إنعامــاً وبؤســاً ومــا للــدَّهرِ نَعلَمُــه حَســودُ[2]

وهنا صوره الجيش وقوة، مدرعاً، وأيام على الإسلام بنصرها بيض، وهي على الأعداء مظلمة، وصاحب هذا النصر حسدته الملوك لما ظفر به.

(1) الديوان، ص: 350,البيت الثالث فيه تحريف ,مبهم

(2) المصدر نفسه، ص131.

وهذه القصائد جاءت بمثابة جريدة في عصرنا هذا سجلت لنا قيماً تاريخية بجانب القيم الأدبية، وتعد مظهراً من المظاهر التي ارتبطت بالمدح العباسي فصارت لوناً سياسياً[1].

وهذه القصائد أيضاً جاءت في القالب الذي اختاره الشاعر في لفظ موسيقي، وإيقاع بالحروف، واختياره لهذا اللون مثل الذين سبقوه من الشعراء، مثل (البحتري ــ أبو تمام ــ أبو الطيب) وغيرهم، تكاد صور المدح تتقارب عندهم مع اختلاف في المعاني والألفاظ.

يقول أبو تمام مادحاً أبا سعيد الثغري[*]:

في كُماةٍ يُكسَونَ نَسجَ السَلوقِيِّ وَتَغدو بِهِم كِلابُ سَلوق
يَتَساقَونَ في الوَغى كَأسَ مَوتٍ وَهيَ مَوصولَةٌ بِكَأسِ رَحيق
وَطِئَت هامَةَ الضَواحي إِلى أَن أَخَذَت حَقَّها مِنَ القَيدوق[2]

ويقول البحتري فيه :

فَزَّعوا بِإِسمِكَ الصَبِيَّ فَعادَت حَرَكاتُ البُكاءِ مِنهُ سُكونا[3]

ويقول المتنبي[*] في سيف الدولة واصفاً له بالذكاء، العقل، والفضل:

أُحِبُّكَ يا شَمسَ الزَمانِ وَبَدرَهُ وَإِن لامَني فيكَ السُهى وَالفَراقِدُ

---

(1) حركة التجديد في الشعر العباس، محمد عبد العزيز الموافي، دار غريب بالقاهرة، الطبعة السادسة، ص207.

(2) ديوان ابي تمام ، شرح التبريزي ، دار المعارف بمصر، 1964م.

(*) أبا سعيد الثغري: هو أبو سعيد محمد الثغري، وكان عامل للعباسين على أرمينية، وسائر الثغور الروم في شمال سوريا، إن أبا سعيد عرف عند الروم حتى باتت نساء الروم يخوفن به الصغر من أبنائهم.

(3) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل ، دار المعارف بمصر، ط3، ج3، :
القيدوق – مدينة رومية

وَذاكَ لأَنَّ الفَضلَ عِندَكَ بـــاهِرٌ وَلَيسَ لأَنَّ العَيشُ عِندَكَ بـــارِدُ[1]

ويقول السري الرفاء:

تَقَيَّلْتَ عبدَ اللهِ في البأسِ والنَّدى فما حِدْتَ يوماً عن طريقتِه المُثلى

وأنتَ رفعتَ الشَّعْرَ بعدَ انخِفاضِـــهِ بجودكَ حتى صار في ذِروةِ الشِّعرى[2][3]

وذكر قائلاً فيه:

ريـــاضٌ كلمـــا سُـــقِيَتْ سَـــحاباً بسَيفِ الدولـــةِ انتظـــرَت سَـــحابا

رحيبُ الصَّـــدرِ يُنـــزِلُ آمليـــهِ من الأمـــلاكِ أوســـعَها رِحابـــا[4]

ودوماً يمدحه حينما يذكر كرمه, وسماحتة ويشبه بالغيث، ويشبه بالبرق والسحاب ، والربيع.

أيضاً قال:

كـــأنَّ الأميـــرَ أعـــارَ الرُّبـــا شـــمائلَه فاشـــتملْنَ المُعَـــارَا

هـــو الغيـــثُ تغنَـــى بـــه بلـــدةٌ وأخـــرى تَحِـــنُّ إليـــه افتقـــارا[5]

وقال في آخر يمدح أميره في رحلة من رحلاته:

أنتَ الربيعُ الطَّلْقُ إن شاءَ الثَّرى وتَزَحَّـــلُ الأنـــواءِ سَـــرَّ قُـــدوما

للهِ هِمَّتُكَ التـــي رَجَعَـــتْ بهـــا هِمَمُ الملوكِ الصَّـــاعِداتُ هُمومـــا

ورياحُكَ اللاتـــي تَهُـــبُّ جَنائبـــاً ولربَّمـــا أجـــريتَهُنَّ سَـــمُوما[1]

(*)المتنبي ــ هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن عبد الصمد الجعفي الكوفى الكندي. ابـو الطيب ــ الشاعر الحكيم . ولد بالكوفة سنة 303هـ في محلة تسمى كنده، وتوفى سنة 354هـ من آثاره ديوان شعر، : معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص الشـيخ عبـد الـرحيم أحمـد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عـالم الكتـب، بيـروت، 1317هـ، 1947م، ج27/1.

(1) ديوان المتنبي، تحقيق يحيى الشافعى, ص280.

(2) الشعرى: كوكب.

(3) الديوان، ص8.

(4) المصدر نفسه، ص26.

(5) المصدر السابق، ص182.

والشاعر الرفاء عاش متأثراً بشعراء الشام، فكان اختياره للبديع، وأنواع الزخرف من تكرار يكسب شعرهم جمالاً، يقال: "إن شعراء عرب الشام وما يقاربها، كانوا أشعر من شعراء عرب العراق". والسبب قربهم من أهل الحجاز وبعد هم عن العجم، وقربهم من ملوك بني حمدان[2].

وأن أهل الشام تفننوا في البديع[3]، وهذا النوع من ألوان البديع استحسنه المحدثون[4].

ففي الأبيات مادحاً بها أحد أمراء الحمدانيين قائلاً:

صُدودُكَ علَّمَ النَّــومَ الصُّــدودَا وجــدَّدَ للهَــوى عَهْــداً جديــدا

إلى قوله:

حَيَاً يزدادُ منه الــرَّوْضُ حُسْــناً إذا مـــا ازدادَ بارِقُـــهُ وَقُـــودا

فكم صَعَّدْنَ من أنفــاسِ صَــبٍّ فأروى مــن مَدامِعِــه الصَّــعيدا

تلقَّــى الــدَّهرُ آمــالي بــنُجْحٍ وعــاد ذمــيمُ أيــامى حَميــدا

وقالَ ألا إلى جُــودِ ابــنِ فَهْــدٍ فرُحْــتُ مــن اللَّيــالي مُســتزَيدا

فتــىً يُمســي بنائِلــه مُفيــداً ويصــبح للمحامــد مســتفيدا

ربيعُ الجودُ مــا ينفــكُّ بُيْــدي رَبيعــاً مــن خلائقِــهِ مَجــودا[5]

وعن أتباع الشاعر السري للذين سبقوه فهو حق مشروع فإن هذه المعاني مشتركة، كما أشار الجاحظ في قوله المشهور المعاني مطروحة في

---

(1) الديوان، ص418.

(2) اليتمة، ج،2 ص33.

(3) ا الوساطة، القاضي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل ــ على بجــاوي ــ مطبعــة عيسى الحلبي، ط2، ص 34.

(4) ا المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله بن الطيــب، الطبعــة الثانيــة، دار جامعــة الخرطوم، 1979م، .

(5) الديوان، ص147.

الطريق، وكذلك أكد أبو هلال العسكري: "أن المعاني مشتركة، بين العقلاء، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ، وتأليفها ونظمها"[1].

ومن خلال شعره " كان بارعاً في الاستنباط وحسن الصياغة، فمثلاً قوله يمدح الوزير المهلبي:

ملوكٌ إذا الأيامُ دامَت رماحُهم حَسِبتَهم الأيامَ صَدراً ومَنكِبا
يُنازعُهم فضلَ النَّجابةِ معشرٌ ولولاهمُ لم يَعرف الناس مُنحيا
وَهَجْرٍ تردُّ الخيلُ رأْدَ ضَحائِه[2] بأرهاجها قِطعاً من الليل غَيهَبا[3]

فالبيت الثالث يطابق معنى البحتري في قوله:

أَقولُ لِرَكبٍ مُعتَفينَ تَدَرَّعوا عَلى عَجَلٍ قِطعاً مِنَ اللَيلِ غَيهَبا[4]

وقال السري الرفاء:

قمرٌ إذا ما الوشيُ صِينَ أذالَه كيما يَصونَ بهاءَه ببهائِه[5]

وقول المتنبي:

لَبِسنَ الوَشيَ لا مُتَجَمِّلاتٍ وَلَكِن كَي يَصُنَّ بِهِ الجَمالا[6]

مما تغنى به الشعراء جمال المحيا، والوجه، وصفات الجسمانية أرادوا بها تأكيد فضائل الممدوح، وفضائل معنوية ينفذون من خلالها إلى قلوب الناس، مثل الهيبة، والسيادة، فالسري الرفاء من الذين نهجوا هذا الطريق إن كان لنيل العطايا، أو حباً حقيقياً أو حركت في نفس الشاعر هوى: فإن هذا

---

(1) الصناعتين، أبو هلال العسكرى، تحقيق قميحة، دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية1989م
(2) رأد ضحائه، وقت ارتفاع الشمس والأهارج ما أكثر من غبار.
(3) الديوان، ص42.
(4) ديوان البحتري.
(5) الديوان، ص 10.
(6) ديوان المتنبي.تحقيق احمد بن الحسين–دار البابى الحلبى–ط2

أو ذاك خرجت المعاني في لوحة جملية، ونضرب مثلاً لهذا في قوله وهو يمدح سيف الدولة فيذكر وفد المصيصه(*).

قائلاً:

أَغُرَّتُــكَ الشِّــهابُ أَمِ النَّهــارُ وراحتُــكَ السَّــحابُ أَمِ البِحــارُ
خُلِقْتَ مَنِيَّــةً ومُنــىً فأضــحَتْ تَمورُ بــك البســيطةُ أو تُمــارُ(1)

وقال له:

مَلِكٌ إذا لاحَتْ مَحاسِــنُ وَجْهِــه في الغربِ خِلْنا الغربَ منه مَشــرِقا

ومثل آخر بقوله للأمير أبي الفضل من بني حمدان:

ملــكٌ مــا انتضــى المهنَّــدَ إلا خِيلَ بدراً يســطو بحــدِّ شِــهابِ
خِيمُه في مواطنِ الحِلْــمِ كَهْــلٌ ونَــداهُ فــي عُنفــوانِ الشَّــبابِ
راتعٌ في ريــاضِ حمــدِ أُنــاسٍ رتَعوا منه فــي ريــاض ثَــوابِ
قمــرٌ أطلعَتْــه أقمــارُ ليــلٍ أَسَــدٌ أنجبَتْــه آســادُ غــابِ(2)

واختياره للألفاظ ومعاني متشابهة في مدح أمراء بني حمدان فهم ملوك، كرام، ويصفهم بأنهم أسود، وأقمار وهذه الصفات تحرك في آذان سامعيها من ممدوح وغيره أشجاناً ورثها العربي من قديم. فإذن السري كان موفقاً في مدحهم واختيار ما يناسب مدح الأمراء.

وقوله:

ملــوكٌ ذُلَّلَــت بهــمُ رقــابٌ كمــا عــزَّت بعــزِّهِمُ رقــابُ
عِذابُ القَولِ إن قــالوا أصــابوا غِزارُ الجودِ إن جــادوا أطــابوا
إذا نَزَلــوا فأقمــارٌ بليــلٍ وإن ركبــوا فآســادٌ غِضــابُ

(*) المصيصة: مدينة على الشاطئ من ثغور الشام ين انطاكية وبلاد الروم. انظر: معجم البلــدان ، االحموى ، ط2، بيروت: دار صادر 2007م، ج5، ص 144.

(1) الديوان، ص180.

(2) المصدر نفسه، ص47.

هو الحسبُ الذي لا رَيــبَ فيــه وهل في الصُّبحِ ما وضحَ ارتيابُ[1]

ومدحه: أحد أمراء بني حمدان، بعد مقدمه طويلة إلى قوله:

وإذا الــدَّهرُ رمانــا صَــرفُه فبِعَمَّــارِ بــنِ نَصْــرٍ ننتَصِــرْ
يا أميــراً خضــعَ الــدَّهرُ لــه فغَــدا يفعــلُ طُــرّاً مــا أمــر
وإذا الجَدبُ عــرَا كــان حيّــاً وإذا الخَطبُ دَجى كــان قَمــر[2]

واتجه بمدحه في شعره لغير بني حمدان ومن هؤلاء الوزير المهلبي:

أحوالُ مجدِكَ في العُلُــوِّ سَــواءُ يــومٌ أَغَــرُّ وشــيمَةٌ غَــرَّاءُ

قائلاً:

أصبحتَ أعلى الناس قِمَّةَ سُؤدُدٍ والنــاسُ بعــدَكَ كلُّهــم أكفَــاءُ
أيمينُكَ البحرُ الخضمُّ إذا طمــتْ أمواجُــهُ أم صــدرُكَ الــدَّهناءُ
أَذْكرْتَنا شِيَمَ اللَّيالي فــي النَّــدى والبــأسِ إذ هــي شِــدَّةٌ ورَخــاءُ
نَسَبٌ أضاءَ عَمودُه فــي رِفعــةٍ كالصُّــبحِ فيــه ترفُّــعٌ وضِــياءُ
وشمائلٌ شَــهِدَ العــدوُّ بفَضْــلِها والفضلُ ما شَهِدَتْ بــه الأعــداءُ
وإذا عَبسْــتَ فصــارِمٌ ومَنِيَّــةٌ وإذا ابتسمْتَ فمَوعِــدٌ وعَطــاءُ[3]

ومدحه للوزير المهلبي لم يكن بغزارة مدح الحمدانيين، ولكن عندما أغلق عليه باب الحمدانيين اتجه لباب آخر، لنيل العطايا وتحسين حاله، وهذا كان معروفاً لدى شعراء العرب، وفى العصر العباسي قيل: "وفي عهد بني العباس لم يمت شعر المديح، بل ظل ينمو باطراد، ولكن الصبغة التي سيطرت عليه هي صيغة التكسب"[4].

---

(1) الديوان، ص30.

(2)المصدر نفسه ، ص 199.

(3) المصدر نفسه، ص16. الدهاء ــ الفلاة.

(4) فن المدح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حافة، دار الشــروق، القــاهرة، ، 1962م، ط1، ص200.

وفي بعض الأحيان يكون الرفاء مادحاً لغير الأمراء وأصحاب الهبات، إذن هناك علاقات تجمعه من غير الذي سبق، حباً فيهم أو جمعتهم البيئة البسيطة والحياة التي عاشها معهم، فها هو ذا يمدح أصحاب المهن. كالمزين الذي قال فيه:

لله حَسَّـــانٌ فتـــىً مُعْرِقـــاً ... في حِذْقِـه وابـنُ فتـىً مُعْـرِقِ
يَفتُـكُ بـالمَرْءِ شـفَيقاً بـه ... أَعجبْ بـه مـن فاتـكٍ مُشْـفِقِ
لـهُ حُسـامٌ مُطلَـقٌ حَـدَّه ... يَدْمى وطَـوْراً لـيسَ بـالمُطلَقِ
إذا كسـا الوجـهَ بـه رَونَقـاً ... عـادَ إلـى سِـنٍّ لـه ضَـيِّقِ[1]

ومخاطباً صديقاً له:

فلقَـد أطلقَـتْ يَمينُـكَ جُـوداً ... كـان مـن قبـلُ مُوثَقـاً بوِثـاقِ
إن داراً تضخمَّ أخلاقـك الفـرَّ ... لدار الجِنـانِ غيـرَ اخـتلاف[2]

فهنا مدح بلا زخرف للكلمات، ولكن مرآة تعكس ما في نفس الشاعر وصدق مشاعره نحو هؤلاء الأشخاص.

وأيضاً مدح أحد القضاة قائلاً:

وقد وضحَتْ سطورُ البيضِ فيه ... كما وَضَحتْ سطورٌ فـي كِتـابِ
مناقـبُ تمـلأُ الحُسَّـادَ غَيْظـاً ... وتُغْني الطَّـالبينَ عـن الطِّـلابِ
وحُكـمٌ يَفْـرُقُ الأعـداءُ منـه ... كأنك فيـه فـاروقُ[3] الصَّـحَابي
يَوَدُّكَ فيه مَـنْ تَقضـي عليـه ... لشافي الحُكمِ أو كـافي الصَّـوابِ
إليـكَ زَفَفتُهـا عـذراءَ تـأوي ... حجاب القلبِ لا حُجُـبَ النَّقـاب
أذَبْتُ لِصَوْغِها ذَهَـبَ القـوافي ... فـأَدَّتْ رونـقَ الـذَّهَبِ المُـذابِ
تهاداها الملـوكُ كمـا تَهـادَتْ ... أكفُّ البيضِ منظـومَ السَّـخابِ[1]

---

(1) الديوان، ص328.

(2) المصدر نفسه، ص 337.

(3) المراد الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب.

تروقُك وهي ناجمــةُ المعــاني كما راقَتْــكَ نَاجِمــةُ الحَبــابِ[2]

وقوله في طبيب يدعى إبراهيم يتحدث عن براعته يصف ذلك الطبيب كأنه ورث هذا العلم فهو مصلح لما أفسده المرض في جسمه:

قائلا:

بَــرَّزَ إبــراهيمُ فــي عِلمِــه فــراحَ يُــدعى وارِثَ العِلــمِ
أوضحَ نَهْجَ الطُّبِّ فــي مَعْشَــرٍ مــا زالَ فــيهم دارِسَ الرَّســمِ
كأنــه مــن لُطــفِ أفكــارِه يَجــولُ بــين الــدَّمِ واللَّحــمِ
لو غَضِبَتْ روحٌ على جِسـمِها أصلحَ بــينَ الــروحِ والجِســمِ[3]

ومدح آل البيت الكرام سلام الله عليهم.

فهذه القصيدة فقد بدأها بالخمر، فبدأت بالكؤوس والقوام.وهذا موجود عند من سبقوه..الخ.

يقول فيها:

نَطوي اللَّيالَي عِلْمَاً أن سَــتَطوِينا فشَعشِعِيها بماءِ المُــزنِ واســقِينا

إلى قوله:

والسابِقُون إلى الخَيراتِ يَنجُدُهم عِتقُ النِّجار إذا كــلَّ المُجارُونــا
قومُ نُصلِّي عليهمِ حينَ نَــذكُرُهم حُبنــا، ونلعــن أقوامــاً ملاعينــا
إذا عَددنا قُرَيشاً فــي أباطحِهــا كانُوا الــذَّوائِبَ منهــا والعَرانِينــا
أغنَتهُمُ عَن صِفاتِ المادحِين لهم مدائحُ اللهِ فــي طَــه ويَاسِــينا[4]

هنا جاءت كلماته واضحة المعاني ومعروفة لدى كل مسلم .

وفي قصيدة مدح فيها أبا أحمد طاهر الهاشمي من الحمدانيين ّ

على غَيرِ عَتْبٍ ما طَوَيْتُ عِتابَها وآثرْتُ من بعدِ الوِصالِ احتسابَها

---

(1) السخاب، قداده من قرنفل ليس فيها لؤلؤ.

(2) الديوان، ص56 ــ 57.

(3) المصدر نفسه، ص426-427.

(4) الديوان، ص454.

وقفنا فظلَّ الشوق يسأل دارهـــا وتُجعَلُ أسرابُ الـــدموع جوابهـــا
فلا بَرحتْ ريحُ الجنوب حَفيـــة تحُصيَّ بألطاف السحاب جنابهـــا

إلى قوله:

يَعُدُّ الجِبالَ مـــن قـــريشٍ أُبـــوَّةً إذا عَدَّ ذو فَخْرٍ سِـــواها هِضـــابَها
إذا انتَسَبَتْ بينَ الخلائق ألحقَـــتْ أواصرَها بالمُصـــطفى وانتســـابَها
وإن حَمَلَتْ سُمْرَ الرِّماحِ لمَشهَدٍ رأيْتَ أُسُودَ الغابِ تَحمِـــلُ غابَهـــا
وسالَت بهم تِلكَ البِطـــاحُ كأنمـــا أسالوا عليهـــا بالحديـــدِ سَـــرابَها
بهِمْ عَرَفَتْ زُرْقُ الأَسِـــنَّةِ رَيَّهـــا كما عَرَفَتْ بِيضُ السيوفِ خِضابَها
أَبا أحمدٍ أصبَحْتَ شَمْسَ مَكـــارمٍ تضيء، ومصباح العَلى وشـــهابها
أبوك الذيّ سقى الحجيج ولم يزل بمكة يروي ركبهـــا ورِكابَهـــا[1]

الرفاء لم يقف عند مدح ممدوحيه فقد كان معجباً بتجربته الشعريةاً ، فقد ظل يرد في كثير من شعره.

قال:

ولي من الأدبِ المحمودِ أثمـــرُه يُنمى إليـــه وأعـــرافٌ تناسِـــبُه[2]

وتارة يراه مسكاً وكافوراً.

يقول:

لَطائِمُ المِسْكِ والكـــافورِ فائحـــةٌ منه ومُنْتَخَـــبُ الهِنْـــديِّ والغـــارِ
وكل مُسعِرةِ الألفـــاظ تحســـبها صفيحة بين إشـــراق وإســـفار[3]

وفي مواضع أخرى يقول عنه:

ولقد حَمَيْتُ الشِّعْرَ وهو لِمَعشَـــرٍ رِمَمٍ سوى الأســـماءِ والألقـــابِ[4]

---

(1) المصدر نفسه ، ص93-95.
(2) المصدر السابق، ص51.
(3) الديوان، ص194.
(4) المصدر نفسه، ص280.

وحديثه عن تجربته الشعرية جميلة صقلها الزمن فخرجت مصقولة، كالثمر أثمر بأطايبه قائلاً:

أَبَعْدَ ما انْهَدَّ عُمري في محاسِنه حتى وَهَى بحُلولِ الشَّـيْبِ جائبُـه
ورَقرقَ الطْبعُ فيه مـاءَ رَوْنَقِـهِ فجاء كما لو شيء مصقولاً سَبائبه
وكانَ كالثَّمَرِ استقصَيْتُ غايَتَـه خُبْـراً فمـا يبـدي إلا أطايبُـه
ضرب من السِّحرْ أجْلوه على نفر سـيّان قائلـه فـيهم وجالبُـه[1]

وفي قوله وهو يمدح أحد الملوك قائلاً:

ألحقْتَ بي في الشِّعْرِ خِدْنَيْ لُكْنَةٍ[2] بكَـرا ورَاحـا فـي الـبَلادَةِ تَوأَمـا
وأنا الذي دَبَّجْتُ لمّـا ثَبَّجَـا[3] وعُرِفْتُ بالإفْصاحِ لمّـا اسـتعجَما[4]
أثربتُ في الشرف القديم وأعدما ونطقت بالمـدح الرَّصـينَ وأفحمـا

واحياناً يوجة حديثة للأمراء

كان لها حظ وافر في ديوانه فضرب لها مثلاً في قوله قائلاً:

أَكُفٌّ تَغلبَ أنواءُ الحَيا الجـاري ونارُ بأسِـهِمُ أذكـى مـن النـارِ

إلى قوله:

والحْمدُ حَلْيُ بني حمدان تعرِفـهُ والحق أبلـجُ لا يَلقـى بإنكـار[5]

وشكا حاله التي ساءت وناشد كثيراً من الأمراء وأصحاب العطاء، عن زمانه وأصابه.

قال في الأمير بن سعيد بن حمدان وكان يجري عليه جارياً فقطعه:

---

(1) المصدر السابق، ص91.
(2) لكنه، بمعنى عجمة في اللسان.
(3) ثبج الكلام، لم يأت به على الوجه الصحيح.
(4) الديوان، ص432.
(5) الديوان، ص194.

هَـــذَا وَلِيُّـــكَ قَـــدْ كَسَـــا ... هُ الـــدَّهْرُ ثَـــوْبَ عَفَائِـــهِ

فَاصْـــرِفْ صُـــرُوفَ زَمَانِـــهِ ... وَالـــبَسْ جَدِيـــدَ ثَنَائِـــهِ[1]

هنا صرخة واضحة، عن ضيق حاله وشدة حوجته.

والحديث عن قصائده المدحية فقد قلد، وجدد، وجاءت فى قصائده مقدمات ومن ثم الولوج إلى لب الموضوع، وأحياناً بلا مقدمات، وخواتم مقفولة وأحياناً مطلقة، وإن قيلت من أجل التكسب فهى تمتاز بأصالتها وفنها البديع.

(1) المصدر نفسه، ص23.

المبحث الثالث
الغـــزل

الغزل حديث الفتيان ،واللهو مع الفتيات وهو من أبرز الموضوعات التي لقيت عناية كبيرة مما يتعلق بالنفس البشرية[1]، و الغزل قريب من النفوس، متعلق بالقلوب، قد جعل الله في تركيب عباده محبة له وألف للنساء، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً به، ضارباً فيه بسهم[2].

والشعراء لهم باع كبير في هذه الساحة، فقد سجلوا عواطفهم وخواطرهم، ومحاسن المرأة، وسحرها، وما يقال في الشوق والحنين، والصد والهجران.

والغزل في العصر العباسي بكل أنواعه عذري وحسي وفاحش فقد فاض، وأخذ صور غير معروفة من قبل، حيث هيأت لهم دنياهم الجديدة الكثير. ولم يخرج الرفاء عن هذه الدائرة، فسلك طريقهم.

فحديثه عن البين والصدود، وانسكاب الدموع وهو يصفها بالبدر المنير، والغصن الرطيب، اللحظ المميت، قائلاً :

يُعنِّفُنـــي أنْ أطَلْـــتُ النَّحيبَـــا ... وأســـكُبُ للبَـــيْنِ دمعـــاً سَـــكوبا
وَأَدْنَـــى المُحبِّـــين مِـــنْ نحبِـــه ... مُحِـــبٌّ بكـــى يـــومَ بَـــيْن حَبيبـــا
دعـــا دمعَـــه ودعَـــتْ دمعَهـــا ... فبَلَّـــلَ منهـــا ومنـــه الجُيوبـــا
فتـــاةٌ رمتْـــه بِسَـــهْمِ الجفـــونِ ... ومـــدَّت إليـــه بَنانـــاً خَضـــيبا
فعـــاينَ مـــنهم غـــزالاً رَبيبـــاً ... وبَـــدراً مُنيـــراً وغُصْـــناً رَطيبـــا
وعَهْدي بها لا تُـــديمُ الصـــدودَ ... ولا تتجَّنـــى علـــيَّ الـــذُّنوبا[3]

يقول: زدني أيها اللاحي، وفؤاد مشغول بذات البياض والخد الوردي:

---

(1)انظر. لسان العرب: ابن منظور،مادة،(غزل).

(2) انظر: الشعر والشعراء ابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف ،ج1، ص28.

(3) الديوان، ص79.

زِدْني منَ العَذلِ فيها أيُّها اللاحي إنَّ الفُــؤادَ إليهــا جِــدُّ مُرتــاحِ
بيضاءُ تنظُرُ من طَــرْفٍ تُقلِّبُــهُ مُفــرِّقٌ بــين أجســام وأرواح
ماءُ النَّعيمِ على دِيبــاجِ وَجنتهــا يجــولُ بــين جَنــى وردٍ وتُفَّــاحِ
رقَّتْ فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها والرّاحُ لامتزَجَتْ بالماءِ والرَّاحِ[1]

فهى مقطوعة جميلة، ذات إيقاع موسيقى، وكلمات رقيقة.

يقول:

قمــرٌ كلَّمــا مَنَحنــاه لَحظــاً مــنحَ اللَّحْــظَ جُلَّنــاراً وَوَرْدا
هو كــالرِّيمِ مــا تَلفَّــتَ جيــداً وهو كالغُصْــنِ مــا تــأوَّدَ قَــدَّا
أنــا، إن راح أو غــدا لفــراِق في رَواح مــن الحِمــامِ ومَعْــدي
أيها البرق، إن وجــدت غمامــاً فاسق نجدا به ومن حــلّ نجــدا[2]

يصف هذه كأنها قمر وهى كالريم في جمالها ويصف قوامها بالقصن، وكعادة شعراء العرب يدعوا لها بالخير إلى موطنها فأنظر إلى قوله فاسق نجدا ومن بها. في آخر:

صُدودُكَ علَّمَ النَّــومَ الصُّــدودَا وجــدَّدَ للهَــوى عَهْــداً جديــدا

إلى قوله:

وساجي الطَّرْفِ أَلْبَسَهُ التَّصــابي سِــخاباً يُلــبِسُ الجَــزِعَ الجَليــدا
أُنازِعُه اللِّحــاظَ فــإن تَصــدَّى لنــا واشٍ تَنازَعنــا الصُّــدودا[3]

ويصور هذه العيون الفاترة وتلك اللحظات التي يبادل فيها المحبوبة بالنظرات ولكن لم يتم مراده وقوله ان ظهر لنا رغيب أظهرنا الصدود.

وقائلاً: عن محبوبة مهفهفة، حوراء، يسهر الليل من أجلها ولكن حظه لم يثمر بعد.

---

(1) الديوان، ص123.

(2) المصدر نفسه، ص141.

(3) المصدر السابق، ص147.

غَضـــبانُ ينســـاني وأذكـــرُه ويَنـــامُ عـــن ليلـــي وأســـهرُه
وبِجَـــوْرِه مـــا صـــارَ مُورِقُـــه حظِّـــي وحـــظٌّ ســـوايَ مُثمِـــرُه
وكفَى الهَوى لـــو كـــان مُكتَفيـــاً مـــا رحـــتُ أُضْـــمِرُهُ وأُظْهِـــرُه
لم يقتسِم فـــي العاشـــقين أســـىً إلاّ وقِســـمي منـــه أوفـــرُه
فـــأَطيحُ فـــي نَفـــسٍ أُصـــعِّدُه وأعـــومُ فـــي دَمْـــعٍ أُحـــدِّرُه
وســـميرِ نجـــمٍ لا بَـــراحَ لـــه وكأنَّمـــا مَلِـــكٌ يُسَـــمِّرُه
ومهفهَـــفٍ هفَـــتِ العقـــولُ بـــه شَـــغَفاً تخيَّـــرَهُنَّ أحـــورُه[1]

ورغم هذا التصوير الرائع للحظات الشوق والهيام وكل ما ينبع تحت هذا الحديث لم نلمس في شعره محبوبة معينة ولهان بها .

وقال: في راهبة وهي تتثنى في مشيتها، ويفوح عطرها وهي تحاط بلبسها المعروف، وذاك الوجه الصبوح، فلولاها لما ذهب إلى ذاك المعبد فهذه الصور تحكي عن صور المجتمع الجديد، وهي قليل ذكرها في الشعرقال فيهاشاعرنا:

قامَـــت تَثَنَّـــى بـــينَ أترابِهـــا وفـــائحُ العنبـــرِ منهـــا يَفـــوحُ
راهبـــــةٌ للهِ فـــــي نُســـــوَةٍ قد أُلبِسَتْ قُضْبَ اللُّجَينِ المُسُـــوح
كأنهـــا إذ سَـــفَرَتْ روضَـــةٌ ألبسَـــها الزَّهْـــرُ صَـــبيحاً مَلـــيح
لولاك لـــم أمـــشِ إلـــى بيعـــةٍ ولو مشَى حَوْلاً إلـــيَّ المَســـيحْ[2]

وتارة يصور فراق المحبوبة، يضرم أحشاءه، وهذه المحبوبة ريم محمية بحد السيف، وعربية محجوبة بخيامها،:

قائلاً :

مَنْ لي برَدِّ ســـوالفِ الأحقـــابِ ومآربٍ أعيَـــتْ علـــى الطُـــلاَّبِ
أتبعْتُها نَفَسَ المحـــبِّ تضـــرَّمَتْ أحشـــاؤُه لتَفـــرُّقِ الأحبـــابِ

(1) الديوان، ص213.

(2) المصدر نفسه، ص124، المسوح: كساء من الشعر، البيعة: المعبد للنصارى واليهود.

أتبعْتُها نَظَرَ المَشُــوقِ تجمَّعــتْ زَفَراتُـــــه لتَفـــرُّقِ الأتـــرابِ
إنَّ الظِّباءَ حَمتْ مراتِعَها الظُّبـــا ورعت ســوائمها اســود الغــاب
من كلِّ سكرَى اللَّحظِ أثمرَ غصنُها نوعين مــن وردٍ ومــن عُنَّــابِ
ريَّا أخَاضَتْنا على ظمإِ الهــوى من وعدِها الممطولِ لَمْعَ سَرابِ[1]

الغزل في عصر العباس الثاني قد وصل مداه وظهر الغزل الحسي، والفاحش، وغير ما كان معروفاً، فالسري لم يكن له اهتمام كبيربه، لم يظهر له في ديوانه غزل فاحش إلا قليل، يقول في استدعاء لصديقه للذهاب للحمام:

قُمْ بنــا قبــلَ غُــرَّةِ الإصــباحِ وقيـــامِ السُّـــقاةِ بالأقـــداحِ
نتمشَّى إلى النَّعيمِ الــذي فيـــ ــه صَــلاحُ الأجســادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ تــرودُ عَيْنُــكَ فيــه بين بيضِ الطُّلى وبِــيضِ الفِقَــاحِ
وتُلاقي الجسومَ في خِلَــعٍ منـــ ــه رِقَاقٍ علــى الجُســومِ مِــلاحِ
من سراويلِ سُندُسٍ تملأ العَيـــ نَ بَهــــاءً ومـــن غُلالَـــةِ داحِ
وإذا كانَ مِئزَرُ الكَفَــلِ النَّهـــ دِ عـــدوّاً لطرْفِـــك الطَّمـــاحِ
فهنيئاً لك الصُّدورُ ومــا فيـــ ــهنَّ من ظَاهرِ الجَمــالِ المُبــاحِ
والخدودُ التي نُقِلْنَ مــن الــوَر دِ إلـــى عُصْـــفُريَّةِ التُّفَّـــاحِ
ومجالُ النِّطاقِ حين تُجيل الـــ طَرْفَ في جَنَّةٍ ومَجرى الوُشــاحِ
وإذا ما خَلا فحســبُكَ مــا فــي جُــدْرِه مــن غَرائــبِ الأشــباحِ
من قيانٍ برزْنَ ليسَ على الأبــ صارِ في نهْبِ حبِّها من جُنــاحِ[2]

جاء غزل السري الرفاء غزلاً تقليدياً في مقدمات لقصائد المدح أو غزلاً تقليدياً مقطوعات اعتدنا عليها في الشعر، وكان غزله في الجانب التقليدي أكثر من الحسي الفاحش، ولكن هناك رقة في الأسلوب وعذوبة في الألفاظ وابتكار لموضوعات جديدة.

---

(1) الديوان، ص88، الظبأ: ظبية وهي حد السيف، السوائح: الماشية والإبل.

(2) المصدر نفسه ، ص126.

المبحث الرابع
اللهو والمجون

الحديث عن اللهو والمجون في الحياة العباسية حديث مرتبط بما جاء به التغيير الذي حدث للدولة وانفتاحها على أمم أخرى، فظهور اللهو والمجون لم يكن وليد العصر العباسي، فقد عرفته العرب من قبل، ولكن كان يدور حول أفراد. فقد عرف عند الأعشى، وما جاء به أمرؤ القيس وغيرهم وما جاء به الأمير الوليد بن يزيد(*) الأموي. فتغير الحياة، والانتشار الواسع للعناصر الأجنبية وخاصة الفرس، ساعد على ذلك ووجود الجواري بكثرة ووصولهن إلى قصور الخلفاء والأمراء، وكثرة الرقيق، والدور الأكبر لوجود[1].الأديرة

ونلاحظ كيف استطاعت هذه الديارات[2]: "أن تشيع الفتنة والغواية، والتحلل الخلقي. ومع ذلك ظهور مذاهب تحمل أفكاراً، ومعتقدات أجنبية، مثل مذهب المرجئة الذي يعتمد على العفو"[3].

وجود الأديرة هيأ كل ألوان المجون واللهو حيث بيئتها مساعدة لكل ذلك. ومن هذه الأديرة دير الخوات يقال: "هذا الدير بعكبرا، وهو كثير عامر تسكنه النساء المترهبات، وتحفة البساتين، حسن الموقع، يجتمع فيه النصارى

(*) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الحكم الخليفة أبو العباس الدمشقي الأموي، ولد سنة 90هـ وقيل سنة 92هـ، حج وهو ولي عهد سنة 16 سنة ــ عاش ست وثلاثين سنة وكان مصرعه في جمادي الآخر سنة 116هـ فتملك سنة وثلاثة أشهر، انظر : سير اعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة 1410هـ ــ 1990م، ج5، ص 370.

(1) تيارات ثقافية بين العرب والفرس: أحمد الحوفي، دار النهضة، مصر، ص206.

(2) الديارات: أبي الحسن علي بن محمد الشاباشني، تحقيق كوركس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، ط2 ا1996م–ص93

(3)الثقافات الاجنبية، صالح بيلو ، ص75

والمسلمون، وهناك ليلة تسمى الماشوش، وهي ليلة يختلي الرجال فيها النساء بالرجال فلا يرد أحد يده عن شيء[1]".

ومن هذا اللهو ظهور الغزل بالمذكر وقيل عنه: "غزل لم تعرفه العرب في العصور الماضية بهذه الطريقة[2].

وقيل:أن هذا النوع من الشعر يسمي المجون وأُطلق علي شعرائهِ الشعراء المُجان فقد ظهر في العصر العباسي وشاع أمرهُ [3].

ويقول أبو نواس في غلام:

بِنَفسي مَن يُعَذِّبُني هَواهُ كَذاكَ وَلَيسَ لي أَمَلٌ سِواهُ

يَتيهِ عَلى العِبادِ بِحُسنِ وَجهٍ وَشَعرٍ قَد أُطيلَ عَلى قَفاهُ[4]

حقيقة أن شعرهم جاء متحرراً وصور حياتهم بصور شعرية جديدة لم يسبقوا إليها في الشعر العربي.

انظر إلى قول عبد الله بن العباس بن ربيع في غلام يقطن هذه الأديرة قائلاً فيه أنه مطرب لم ترى عين جماله، إذا دنا أسعد، وإذا أقبل أحزن قائلاً:

وَشادِنٍ ما رَأَت عَيني لَهُ شَبَهاً في الناسِ لا عَجَماً مِنهُم وَلا عَرَبا

إِذا بَدا مُقبِلاً نادَيتُ وَاطرَبا وَإِن مَشى مُعرِضاً نادَيتُ وَاحَرَبا[5]

فأطلق الشعراء المجان ألفاظ عارية مكشوفة يعبرون بها بلا قيود.

وها هو السري الرفاء يتعشق هذه الأديرة وغلمانها متأثراً بيئته العباسية. ويقول في غلام يهواه:

---

(1) الديارات : الشاباشتي: ص249.

(2) تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، دار المعارف ــ القاهرة 1962م، ص 76.

(3) اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي: محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، 1963م، ص204.

(4) ديوان أبى نواس، تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي، ص432.

(5) انظر: الديارات، ص 249.

بنفسي من أجـــودُ لـــه بنفســـي ويَبخَـــــلُ بالتحيَّـــــةِ والسَّـــــلامِ
ويلقـــــاني بِعـــــزَّةِ مُســـــتطيلٍ وألقـــــاه بِذلَّـــــــةِ مُســـــــتهامِ
وَحَتْفِـــيَ كـــامنٌ فـــي مُقْلتَيـــه كُمونَ الموتِ في حَـــدِّ الحُســـامِ[1]

وفي موضع آخر يقول:

إني عَشِقْتُ مِنَ السَّعادَةِ مُسْـــعِدا واصَـــلتُهُ فغـــدا مشـــوقاً شـــائقا
فإذا دَنا جعـــلَ الزِّيـــارَةَ شـــأنَه وإذا نأى بعثَ الخَيالَ الطَّارِقـــا[2]

ويقول في ساق ويصف كيف عشقه لهذه الكؤوس فأصبح خبيراً بها، ووصفه لهذا الساقي هضيم الحشا محمر الخدود.

قائلاً فيه:

وَسَاقٍ بحُبِّ الكَأْسِ أصبَحَ مُغْرَماً فَلأْلاَؤُهَا أَضْحَى كَضَـــوْءِ جَبينِـــه
سَقاني بِهَا صِرْفَ الحُمَيَّا عَشِـــيَّةً وَثَنَّى بِأُخْرى مِنْ رَحيـــقِ جُفُونِـــهِ
هَضيمُ الحَشا ذُو وَجْنَةٍ عَنْدَمِيَّـــةٍ يُريكَ احْمِرارَ الوَرْدِ فِي غَيْرِ حِينِهِ
فَأَشْرَبُ مِن يُمْنَاهُ ما فَوْقَ خَـــدِّهِ وأَلْثِمُ مِنْ خَدَّيْهِ مَا فـــي يَمينِـــهِ[3]

إذن اللهو في هذا العصر بلغ ما بلغ الأمر فتعددت أشكاله وألوانه، تكتفي الباحثة بما قُدم من الأمثلة السابقة لتبيين الوضع.

الخمر:

أقبل عليها الناس إقبالاً شديداً، وتفننوا في احتسائها وجاءت مجالسها بالجديد، وعشقوها ومالوا إليها كالفرس وغيرهم، كما قيل: "أن الفرس ميالين إلى الإفراط في الشرب والغناء"[4].

فإذا استمعنا إلى أبي نواس نجده رائداً في هذا المجال وحاملاً لواء التغيير قائلاً:

---

(1) الديوان ، ص433.

(2) المصدر نفسه ، ص323.

(3) المصدر السابق، ص455.

(4) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج1، ص191.

رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُهـــا لَطافَةً وَجَفا عَــن شَــكلِها المــاءُ
فَلَو مَزَجتَ بِها نــوراً لَمازَجَهــا حَتّى تَوَلَّــدُ أَنــوارٌ وَأَضــواءُ[1]

ويقول فيها ابن المعتز[2] :

سُلافَةٌ وَرِثَتهــا عــادُ عَــن إِرَمٍ كانَت ذَخيرَةَ كِسرى عَــن أَبٍ وَأَبِ

أما الخمر عند السَّريّ الرفاء فهي حديث عاشق مولع بها فهو مادح لها ولمحاسنها وما تجلبه من السعادة له، واصف لها ولكأساتها بأوصاف جميلة رقيقة، فقد كثر فلسفة فيها يعتقد أنها تبعده عن همومه وتريحه من أشجانه، فجاء شعره فيها صادقاً.

فكيف عبر عنها تعبيراً صادقاً عن حاله وغدوه إلى الراح، ومصافحته للكأس في روضة منظومة كأنها سبح:

قائلاً :

إنْ عَـــنَّ لَهـــوٌ أو سَـــنَحْ فَاغْـــدُ إلـــى اللَّهـــوِ ورح
رضـــيتُ أن أحظَـــى بعِـــزٍّ اليـــأسِ والعِـــزُّ مِـــنَح
وصـــاحبٍ يقـــدَحُ لـــي نـــارَ الســـرورِ بالقَـــدَح
فُرحـــتُ مَطـــويَّ المُنـــى لا أزجُـــرُ الطَّيـــرَ الـــرَّوَح
ولا أقـــولُ لامـــرئ ضَـــنَّ بمـــالٍ أو ســـمَح
ولا أرى مـــن صـــبوَةٍ نَهْـــجَ التُّقـــى وإن وَضَـــح
تُصـــافِحُ الكـــأسُ يـــدي مـــا ارتـــدَّ خطْـــبٌ أو صـــفَح
فـــي روضَـــةٍ قـــد لَبِسَـــت مـــن لؤلـــؤ الطَّـــلِّ سُـــبَح[3]

والسَّرى يأمر النفس لترتاح بالراح، وضوءها كاف من كل صباح، فالعتمة صدته عن ما يقوله أصحاب الصلاح.

---

(1) ديوان أبى نواس، دار صادر ــ بيروت ــ ص89.

(2) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري، ص313.

(3) الديوان، ص127.

قائلاً في ذلك:

قم فَانْفِ بالكأساتِ سُلطانَ الكَرى واجعَلْ مَطايا الرّاحِ منكَ الرَّاحـــا
لا تأسَفَنَّ على الصَّباحِ فحسْـبُنا ضوء السوالف والسُّلاف صباحا
فــض النــديم ختامهــا فكأنمــا فض الختام عن العبير ففــا حــا
لم أَدْرِ إذ حَثَّ السُّقاةُ كُؤوســها أكَواكِبــاً يَحمِلْــنَ أَم أقــداحا
إني مَنَحتُ ذوي الصَّلاحِ مِنَ الوَرَى بُغضــاً فلســتُ إلــيهِمُ مُرتاحــا
مَنْ لي بدير كنتُ مشــغوفاً بــه لَمَّا عرَفْتُ الرَّاحَ عــادَ رِياحــا[1]

ومن شدة تعلقه بها، وحبه لها فهو لا يستمع للناصح.

وتارة يصف عشقه لها يراه أجمل من الهوى ولو كان من يهواه بدراً منيراً قائلاً:

سأتْرُكُ مَنْ أهوى بما هو أهلُــه ولو كانَ مَنْ أهوى يُشاكِلُه البَــدرُ
وأصبو إلى قولِ الذي قد عرَفتما ألا سَقِّني خمراً وقل لي هي الخمرُ
ألا سَقِّياني من ســلافَةِ خَمــرةٍ يجانبُها المَحمودُ والأبلَهُ الغَمْــرُ[2]
مُصَفَّقَةً كأســاً كــأنَّ شُــعاعَها تَوَرُّدُ خَدٍّ حينَ يبــدو بــه السُّــكْرُ
فإن كسروها بالمِزاجِ حكَتْ لنــا غلائِلَ عُشَّاقٍ أضــرَّ بهــم هَجْــرُ
فلا خَيْرَ في القُربى إذا ما مَلْلتَني ولا خَيْرَ في نُعمى يُقارِبُها كُفــرُ[3]

وفي البيت الثاني أشار إلى قول أبو نواس في الخمر.استمع إلى

قوله يحث على الشرب، ودنو المدامة جالبة السرور ووصفها موردة اللون هيا اغتنم وقتك فإن الشباب وقت السرور. قائلاً:

دُنُوُّ المُدامَــةِ يُــدني السُّــرورا فَصِلْ باغتباقِــكَ مِنهــا البُكــورا

---

(1) المصدر نفسه، ص125.

(2) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

مصفقة ــ حول الشراب من إناء إلى آخر ليصفو.

(3) المصدر السابق، ص225.

فقَــد نشــرَ الصُّــبحُ أعلامَــه وحـــانَ لكاســـاتِها أن تَـــدورا
تعجبت مــن غُفــلات الــورى وتركهم العــيش غضــا نضّــيرا
فطائفـــة ترتجـــي جنـــة الـــ خلود وأخــرى تخــاف ســعيرا

فهو لا يبالي ويمضي في عشقها ويبرر إنها تصرع النوائب وتزيل عنه التعب والهم.

إلى قوله:

كـــأنَّ العَقيـــقَ بكاســـاتِها تَفُضُّ السُّــقاةُ عليهــا العَبيــرا[1]

كيف يصف رحلة وهو من معهم ومشبههم في سرعة وثبات إلى الدير ويصفهم أنهم أبهى وأنضر من الرياحين، ومن بعد ذلك مشوا ببطء كالفرازين في الشطرنج وهي معانٍ جديدة وصور البيت الأخير في تصوير رائع للكاسات.

قائلاً:

وَفْتَيـــةٍ زَهَـــرُ الآدَابِ بَيْـــنَهُمُ أَبْهَى وَأَنْضَرُ مِنْ زَهْرِ الرَّيــاحينِ
مَشَوا إلى الرَّاحِ مَشْيَ الرُّخِّ وانَصَــرَفُوا وَالرَّاحُ تَمشِي بِهِمْ مَشْيَ الفَرَازينِ[2]
حَتَّى إذَا أَنْطَقَ النَّــاقُوسَ بَيْــنَهُمُ مُزيَّنُ الخَصْرِ رُومِــيٌّ القَــرَابين
يرَى المُدَامَةَ دِيناً حَبَّــذَا رَجُــلٌ يَعُــدُّ لَــذَّةَ دُنيَــاهُ مِــنَ الــدِّينِ
تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَعْطَانِ[3] الهيَاكِلِ في تِلْكَ الجِنَــانِ وأَقْمَــارِ الــدَّوَاوِينِ
تَحُثُّ أَقْدَاحَهُمْ بِيضُ السَّوَالِفِ في حُمْرِ الغَلائِلِ في خُضْرِ البَسَــاتِينِ
كَأَنَّ كَاسَــاتِها والمَــاءُ يَقْرَعُهــا وَرْدٌ تُصافِحُهُ أَطْرَافُ نِسْــرينِ[4]

والسري الرفاء عندما تُهدى اليه الخمر فهي عنده من ألطف الهدايا وهي التي تروي ظمأه.

---

(1) الديوان ، ص225.

(2) الرخ والفرازين: من قطع الشطرنج.

(3) أعطان، مناطق المياه.

(4) الديوان، ص 455.

فانظر إلى مقطوعته التي قال فيها:

أبا الحُسينِ دَعَتْ نفسي أمانِيهـــا إلى يـــدٍ مِنـــكَ مَشـــهورٍ أياديهـــا
فَصَرِّمِ الصَّومَ عنَّا بعدَما ظَمِئت لهُ النفوسُ وفَقْدُ الـــرَّاحِ يُظميهـــا
فجُدْ بعَذراءَ مثلِ الشمسِ نَعذِرُها إن أظهرَت صَلَفاً للحُسنِ أو تِيهـــا
واعلمْ بأنَّ ظُروفَ الراحِ إن كَبُرَت عندَ الهدِيَّةِ أبدَت ظَرفَ مُهـــديها[1]

وعجباً لهذا العشق وما جاء به العصر العباسي فكأن السري وحياته تدور حول فلك خمري فكل ما حولها وما فيها أخذت حظها انظر إلى وصفه.

وفي قصيدة يتناول وصف الروواق

لا راحَ ما لم يَصْفُها[2] الرّاووقُ[3] رَحْبُ الذَّرى[4] ينحَطُّ فيه الضِّـــيقُ
سَـــماءُ لاذٍ قَطرُهـــا رَحيـــقُ تألَّفَـــتْ مـــن مُزنِـــهِ البُـــروقُ
يَسقيكَ مـــن سَـــحابِه الإبريـــقُ ماءَ عَقيـــقٍ لـــو جـــرى العَقيـــقُ
راحٌ تـــولَّى ســـبكَها التَّعتيـــقُ عَتَّقَهـــا مـــن عُمْـــرِ الزَّرنـــوقُ
حتَّـــى إذا ألهَبهـــا التَّصـــفيقُ صِحْنا إلـــى جيرانِنـــا الحَريـــقُ[5]

فقد وصفوا لها قواعد يجاهر بشربها صرفاً غير ممزوجة، حيث كان المجاهرة نهج الكثيرين منهم.

ألا سَقِّني الصَّهباءَ صِرْفاً فـــإنَّني لِمَنْ لامَ فيها ما حَييتُ مُخـــالِفُ[6]

في آخر يقول:

هاتِ التي هيَ يومَ البَعـــثِ أوزارُ كالنارِ في الحُسْنِ عُقبى شُربِها النارُ[7]

---

(1) المصدر نفسه ، ص460.
(2) يصفها: يأخذ صفوها.
(3) الروواق: المصفاة يروق بها الخمر.
(4) الذرى: النواحي.
(5) الديوان، ص329.
(6) الديوان، ص308.
(7) المصدر نفسه، ص236.

اللهو والمجون وشرب الخمر والتعلق بها حتى الثمالة له إذن تأثير واضح ما جاء به الفرس، ومما ساعد فيه الخلفاء والأمراء من غض الطرف عنه، أم أن هناك استعداد نفسي ساعد على إتباع العرب بهذه الطريقة . فالسَّرىّ عاشق لها، أبدع في وصفها.

المبحث الخامس
الرثـــاء

يدور معنى الرثاء حول مدح الإنسان بعد موته يقال:(رثيت الميت رثياً أى بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً) [1].

ويقول فيه قدامة (ليس بين المرثية والمدح فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك)[2].

وقال ابن رشيق يكون الرثاء ظاهر التفجع واضح التلهف والأسف[3].

وهو من الأغراض الشعرية القديمة، ومن الفنون التي جود فيها الشعراء، وكثر فيها الصدق وفيه يقل التكلف لأنه يعبر عن خلجات القلب المحزون[4].

فقد سئل أعرابي: ما بال الرثاء أصدق أشعاركم؟ قال: لأننا نقوله وقلوبنا تحترق[5].

ويقال إن لكل أمة اهتمام بالرثاء ويقول في ذلك شوقي ضيف: للأمة العربية ميراث ضخم، وأنهم عرفوا الرثاء منذ القدم[6].

أما الحديث عن مرثيات الرفاء فالديوان اشتمل على قليل من قصائد الرثاء.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (رثا).

(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص 132.

(3) العمد، ج147/2.

(4) الرثاء في الشعر الجاهلي، يحيى الجبوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م.

(5) البيان والتبين، الجاحظ، ج2، ص 320.

(6) الرثاء، شوقي ضيف، ، دار المعارف، بمصر، ط2، ص5.

ومن ذلك قوله:

يرثى أبا بكر المراغي(*) ويذكر بني فهد قائلاً:

أَسَـــمِعْتُما أن الجِبـــالَ تُضـــامُ ... وعَلِمْتُمـــا مَـــنْ غَالَـــتِ الأيَّـــامُ

فَجْعٌ تَطيرُ لـــه علـــى أحشـــائِنا ... شُعَلٌ وتَسقُطُ في القلـــوبِ سِـــهامُ

وَرَزِيَّةٌ أَخَذَ الرَّدَى مـــا يبتَغـــي ... منّـــا ونـــالَ بهـــا الـــذي يَســـتامُ

شَهِدَتْ بتحليلْ الدموعِ وخَبَّـــرَتْ ... أنَّ العَزاءَ علـــى اللَّبيـــبِ حَـــرامُ

كنَّا نَعُـــدُّ الحِصـــنَ دارَ إقامـــةٍ ... فـــاليومَ وقفتُنـــا بـــه إلمـــامُ

يَبكي الغَمامُ المستسيرُ بأرضِـــها ... ونقول جاد بـــذي الغمـــيم غَمـــامُ

إنْ يفترِقْ أحبابُنـــا أيـــدي سَـــبا ... عنهـــا فقـــد يَتفـــرَّقُ الأَقْـــوامُ

عَطَنٌ أخَلَّ به الوفودُ وأوحشَـــتْ ... منـــه الرِّحـــابُ الفِـــيحُ والآطـــامُ

والتُّربُ ظَمآنُ الجَوانحِ ما سَرى ... رَكْبُ السَّحابِ عليه وهي جَهَامُ[1]

فرثاه رثاءً حرى وضح فيه تفجعه وألمه على فراق المراغي ويقال إنه كان من أصحابه المقربين.

قال يرثي غلاماً من بني شيبان صلب بالموصل وكانت بينهما معرفة قائلاً:

أبدْرَ دُجىً غالَته إحدى الغَوائـــلِ ... فأصـــبحَ مفقـــوداً ولـــيسَ بآفـــلِ

أتَته المنايا وهو أعـــزلُ حاسِـــرٌ ... خَفِيُّ غِرارِ السَّيفِ بادي المقاتـــلِ

غلامٌ إذاعايْنـــتَ عـــاتقَ ثَوبِـــه ... رأيـــتَ عليـــه شـــاهداً لِلحَمائـــلِ

يُمسِّحُ بالمِسكِ الـــذَّكيَّ مُـــرَجَّلاً ... يَرُفُّ على المتنينِ مِثلَ السَّلاســـلِ

(*) بابكر المراغي ، هو محمد بن على المراغي أديب نحوي ، قرأ على أبي اسحاق الزجاج، وأقـــام بالموصل، كان وفا نة 311هـــ، انظر: معجم المؤلفين عمر- رضا كحالة، ج548/3.

(1) الديوان، ص 429.

العطن: مبرك الإبل وموضعها.

سواءٌ عليه في السَّـوابغِ حُـرَّةً ... ثَنَى عِطفَه أَم في رِقـاق الغَلائِـلِ
وَعزَّ على العَلياءِ أن حِيلَ بينَـه ... وبـينَ ظُبَـا أسـيافِه والعَوامـلِ
وعُرِّيَ من بُردَيه بالسيفِ مُنتضىً ... فلم يعرمن بردى عفاف ونائل
فأحبِب به من راكبٍ غيرِ سـائرٍ ... مقـيمٍ ولكـنْ زيَّـه زِيُّ راجـلِ
يُعَنبِرُ أنفـاسَ الرِّيـاحِ بِشِـلوهِ ... فَتَعبَقُ من أنفاسِ تلـك الشَّـمائلِ
هو القَدرُ المحتومُ والسيفُ لم يكنُ ... ليُخصَبَ إلا من دمـاءِ الأفاضـلِ
أَحلَّكَ من أَعلى الهَـواءِ مَحَلَّـةً ... نأَتْ بك عن ضَنْكِ الثَّرى والجنادلِ
وليسَ بعارٍ مـا عَـراك وإنَّمـا ... حَماك اتِّساعُ الصَّدرِ ضِيقَ المنازلِ[1]

ويصف المصلوب بدراً غاب عن سمائه ففقده الأحبة ويصف المنايا وقد أتته وهو أعزل والشاعر هنا يتحسر لفقده وضربه بهذه الطريقة، ففي وصفه وعرى من برديه وصف دقيق لحالة المصلوب، ولكن الشاعر يقول أن هذا الموت يختار الأفاضل فالسيف لم يخصب إلاّ الخيرين.

وقال أيضاً:

في رثاء أبيه وإهله وكأن برثاء أهله يبكي حاله وهو أصبح وحيداً فتحس في القصيدة شجناً وتعبيراً ذاتياً لما أصابه وما خيم عليه في هذا الزمان.

هَـلْ للمَكـارمِ مـن مُجيـرِ ... أم هَـل لأحمـدَ مـن نَصـيرِ
أنَّـى ارتقَـتْ هِمَـمُ الـرَّدَى ... منـه إلـى القَمَـرِ المُنيـرِ
بَعْـدَ ابتسـامِ شـمائلٍ ... كـالنَّوْرِ فـي الغُصْـنِ النَّضـيرِ
يـا رِمَّـةً أَرَجُ الثَّـرى ... مـن طيبِهـا أَرَجُ العَبيـرِ
لـو تسـتطيعُ الأرضُ مـا ... سَـمَحَتْ بهـا يـومَ النُّشـورِ
نظَـرَتْ إليـكَ المكرُمـا ... تُ فلـم تَجِـدْ لـكَ مِـنْ نَظيـرِ
فغـدَتْ عليـك حَواسـراً ... يَنظُـرْنَ مـن طَـرْفٍ حَسـيرِ

(1) الديوان، ص355-356.

فاذهَـــبْ علـــى رُغـــمِ العِـــدا والبـــأسِ والحَسَـــبِ الخَطيـــرِ
فـــــارقْتَني وتركْتَنـــــــي غَرَضـــاً لأحـــداثِ الـــدُّهورِ
فَلَبِسْـــتُ أثـــوابَ الأسَـــى وخلَعْـــتُ أثـــوابَ السُّـــرورِ[1]

يبكي على أبيه أحمد، صاحب المكرمات ويتحسر على فراقه.

وقال يرثي :

للهِ أيُّ حُســـامٍ فَـــلَّ مَضْـــرِبُه مَضارِبَ المُرهَفَيْنِ السَّيفِ والقَلَـــمِ
خَطْبٌ وَهَى عَرْشُ غسَّانٍ به وغدَتْ تيجانُ حِمْيَـــرَ مـــن واهٍ ومُنْصَـــرِمِ
أَظَلَّ دِجلةَ فانحَطَّـــتْ غَوارِبُهـــا واصفرَّ من جانِبَيْها مُورِقُ السَّـــلَمِ
أَبْنَاءَ فَهْدٍ تَـــولَّى العِـــزُّ بعـــدَكُمُ فما أرى خائفاً يأوي إلى عِصَمِ[2]

وهنا يرثي أميراً، والحديث عن الأمراء وذكرهم أحياء أو أموات يختلف، وهنا يصفه بأنه حسام ويذكر العرش والتاج وكأن نهر دجلة حزين، وعن العز والسُؤدد الذي غاب بموت أميره.

وفي مرثية يرثي بها بعض إخوانه.

قائلاً:

وسألتُ عنه فقيلَ مَاتَ لِمَـــا بـــه قلبُ النَّدى لا شكَّ ماتَ لِمـــا بـــه
وكأنَّما بَخُلَ الزَّمانُ على الوَرى ببقائِـــه أو هابَـــه فبـــدا بـــه
فلِمَن أصونُ مَدامعي من بعـــدِه ولأيِّمـــا أبكيـــهِ مـــن أســـبابِه
لخِطابِـــه لجوابِـــه لِصـــوابِه لِحفاظِـــه لِثوابِـــه لِعقابِـــه
للحَملِ عن مُنتابِه للنُّصْـــحِ عـــن أســـبابِه للصَّـــفْحِ عـــن مُغتابِـــه
لِلبيضِ من أثوابِه للزُّهـــرِ مـــن آرائِـــهِ للغُـــرِّ مـــن آدابِـــه
لِحجـــاه أم لِنُهـــاهُ أم لِقـــراه أم لعُـــلاه أم لنَـــداه فـــي أصـــحابِه
أم من يُرَجِّي بعدَه صرفَ الرَّدى عـــن نفسِـــه بجِـــلادِه وضِـــرابِه

(1) الديوان ، ص234.

(2) المصدر نفسه، ص442.

هيهاتَ لا يُغني البُكاءُ إذا سَــطا أَسَــدُ الزمــانِ بمِخلَبيْــهِ ونابِــه
ولَئِنْ سَقاهُ الموتُ كأســاً مُــرَّةً فلْيَشربنَّ الموتُ مثــلَ شَــرابِه[1]

فهذه القصائد أو المقطوعة من شعر الرثاء فقد وجهها الشاعر وتفجع بها على أبيه وإخوانه، وبعض من الأسرة الحمدانية، فبكاؤه لأهله واضح الأسى والحزن.

إن هذه القصيدة قد خرجت في ثوب فني، انظر إلى قوله (بخل الزمان) على الورى وأسد الزمان فهنا تشبيهات بيانية رائعة ودلت على اهتمام الشاعر بالصنعة البديعيه من ترصيع وغيره , نقول خرجت رثائياته بصورة فنية وإن كانت قليلة في الديوان.

(1) المصدر نفسه ، ص108، القرار: الكرم.

المبحث السادس
الهجاء

هجاه: شتمه[1]، والهجو: (أبلغه ما جرى مجرى الهزل، والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقة بالقلب) [2].

وهو: (فن من فنون الأدب يتخذه الشاعر للدفاع عن نفسه ويهاجم بهامنافسيه)[3].

والهجاء عند السري جله كان حول الخالديين ومن تعصب لهم، مع آخرين تعرض لهجائهم.

وقد وصل الهجاء بينهم مرحلة تعدت سرقة القوافي والنظم فهاهوذا يهجو الخالدي أبا بكر وزوجته قائلاً:

بُؤسَاً لِعــرْسِ الخَالِــديِّ بُوسَــا أَكُــلَّ يَــوْمٍ تَغْتَــدِي عَرُوســا
خَلَّتْهُ وَاعْتَاضَــتْ فَتَــىً نَفِيســا وَفَارَقَــتْ مِــن نَتْنِــهِ نَاوُوســا
فَصَادَفَتْ رَبْــعَ هــوَىً مَأنُوسَــا وبَــدَّلَتْ مــنْ رَخَــمٍ طاوُوســا
وكيفَ تَهْوَى وَجْهَــهُ العَبُوســا وهيَ تَرَى الأقمَارَ والشُّمُوسَــا[4]

أما هجاوْه لابن الملحي وهو شاعر تعصب للخالديين:

قال فيه :

---

(1) القاموس المحيط، محي الدين يعقوب الفيروز أبادي، مادة (هجا)، تحقيق محمد الشامي، القــاهرة، دار الحديث، 2008م، ص 1679.

(2) الوساطة ين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق إبراهيم علي ابو الفضل، ص23.

(3) العمدة، ج147/2.

(4) الديوان، ص265، الناووس: صندوق من خشي يضع النصارى فيه الجثة.

إذا هَبَطَتْ أنسابُ قَوْمٍ فمــوطِني ذُرى نَسَبٍ بــينَ التَّتــابعِ عــالي
ونَاهيكَ مِنْ أَيْدٍ تَصولُ وأَلسُــنٍ تَقــولُ وأرمــاحٍ تُهَــزُّ طِــوالِ
شَقَقْتُ قَذَالَ الخَالــديِّ بِمَنْطِــقٍ يَشُقُّ مــن الأَعْــداءِ كــلَّ قَــذالِ
وناضَلَني المِلحيُّ عنه فَأَصْبَحَتْ جَوارِحُــهُ مَجروحَــةً بِنبــالي
وما لِعَلِيٍّ بائعِ المِلــحِ بــالنَّوى إذا نِلْــتُ أمَّ الخالــديِّ ومــالي[1]

وفي قصيدة أخرى يهجوفارس بن اليمج ويؤكد حبه للفاطميين ورفضه للمعتزلة:

قائلاً:

أَفارسُ هل تَكونُ غــداً شَــفيعي إذا أنــا فيــكَ عادَيْــتُ الشَّــفيعا
دَعَوْتَ إلى الضَّلالِ دُعاءَ غــاوٍ فلــم يكــنِ السَّــميعُ لــه سَــميعا
أَأَرغَبُ عن وَدادِ أبــي تُــرابٍ وقد شــحَنَ التَّرائــبَ والضُّــلوعا
وأُعْرِضُ بعدَ وَخْطِ الشَّيْبِ عنــه وقــد أحببْتُــه طِفْــلاً رَضــيعا
أَقِلُّــوا قَبــلَ غِشْــيانِ القَــوافي بــذكركم المحافــل الجموعــا
نصَحْتُ لكم فلا تَــردِوا المَنايــا ولا تَســتَمْطِروا السَّــمَّ النَّقيعــا
إذا لــم تَتْبَعــوا أبــداً رَشَــادي فلســتُ لغــيِّكُم أبــداً تَبيعــا
ألا مُتَجَــــــرِّدٌ للهِ نَــــــدْبٌ يُقَــرِّبُ مــنكُمُ الحَــيْنَ الشَّــنيعا
فَيَخْضِبُ من دمــائِكُمُ العــوالي ويَنقَعُ مــن صــديدِكُمُ الجُزوعــا
أُحاكِمُكُمْ إلــى السَّــبعِ المَثــاني وتلكَ الشَّــمسُ أَغشَــتكُمْ طُلُوعــا
فقَدْ حَفِظَــتْ صَــحائِفُهُنَّ حقّــاً ولستُ لما احتفَظْنَ به مُضِــيعا[2]

ففي البيت الثالث (أبي تراب) كنية على عليه السلام، أهي إشارة إلى ما قيل عنه من تشيع أم الأمر غير ذلك؟لم الحظ هذا ولم يأكد شعره تشيعة.

---

(1) الديوان، ص372.

(2) المصدر نفسه ، ص279.

وقال كذلك فى فارس ابن اليمج(*):

عفاءٌ على اللَّذَّاتِ من بعدِ فــارسِ ... فقد عُطِّلَتْ منــه حِســانُ المَجــالِسِ
جَلا حُرَّ وَجْهٍ قــد أضــاءَ بثوبِــه ... كــأنَّ ســنَاها فيــه شُــعلَةُ قَــابسِ
تُكَسَّرُ أصنافُ المَعــازِفِ بَعــدَها ... كما عُقِرَ الأفراسُ بعــدَ الفــوارِسِ
مضى حسَبُ الزَّفْنِ التَّليدِ وأصبحَتْ ... رسومُ المّلاهي كالرسومِ الدَّوارسِ(1)

وأيضاً قال في النامي(*) الجزار:

أرى الَجــزَّارَ هَيَّجَنــي ووَلَّــى ... وكاشَفَني وأسرعَ فــي انكشــافي
ورقَّعَ شِــعرَه بعيــونِ شِــعري ... فشابَ الشَّهدَ بالسُّــمِّ الزُّعــافِ(2)

وصورة أخرى لهجائه عن رجل بخيل:

لي من عُبَيدِ اللهِ خُــلٌّ مــا أَرى ... فــي جاهِــه طَمَعــاً ولا فــي مالِــه
كم جاهلٍ بــالأمرِ حــاولَ نَيلَــه ... فــرأَى مَنــالَ الــنَّجمِ دونَ مَنالِــه
قد قلتُ للضَّيفِ المُقِــيم بِــدارِه ... لمّــا شــكَا لــك أُســوةٌ بِعيالِــه
دارٌ عَدِمت الخيرَ يَقظانــاً بهــا ... فَرقَدتُ كي أحظَى بطَيــفِ خيالــه(3)

هذا هجاء عادي غير أن في الديوان قصيدة هجاء فاحش هجا بها الخالديين قال في مطلعها:

للخالــــديَّينِ جَمــــالُ مَنْظَــــرِ ... وبِــزَّةٌ تَمــلأُ عــينَ المُبصِــرِ(4)

وهجاء السري صورة من الهجاء العباسي الذي يخص الفرد دون الجماعة أو القبيلة، ولم يكن فاح، والذين هجاهم شاً بالطريقة المعروفة، وجاءت قصائد الهجاء غير طوامقدمات معظمهم أصحاب مهن، زفاف، جزار، قاضي، بالإضافة للخالديين.

(*) ابن اليمج: يقال أنه كان يعمل عازفاً.

(1)الديوان ص261.

(*) النامي هو أبا العباس أحمد بن محمد المصيصي شاعر من شعراء الحمدانيين وإن أباه كان جزاراً.

(2) الديوان نص301.

(3) المصدر نفسه، ص385.

(4) المصدر السابق ص 385.

المبحث السابع
أغراض آخري

الإخوانيات:

هذا اللون خاص بالشعر الاجتماعي والروابط بين الأصدقاء والشعراء[1].وفى هذا النوع من شعر تتجلى فيه علاقات الشاعر بأصدقائه ورفقاء دربه، وإخوانيات السري ودعاؤه إلى من سلكوا معه الدرب إلى الشرب وليالي الصيد، ويؤكد شعره أنه لا يستطيع فراقهم وفى كثير من الأوقات يسترجيهم للحضور لهذه المحافل.

قال:

لنـــا غُرفَـــةٌ حَسُـــنَتْ مَنْظَـــرا ... وَطَابَـــــتْ لســـــكَّانِها مَخبَـــــرا

ترى العينُ من تحتِهـــا روضـــةً ... ومـــن فوقِهـــا عارضـــاً مُمطِـــرا

وينســـــابً قَـــدَّامهَا جَـــدولٌ ... كمـــا ذُعِـــرَ الأَيْـــمُ أو نُفِّـــرا

وراحٌ كـــأنَّ نســـيمَ الصَّـــبا ... تحمَّـــلَ مـــن نَشْـــرِها العَنبـــر

وعِنديَ عِلْـــقٌ قليـــلُ الخِـــلافِ ... ونَـــدْمانُ صِـــدْقٍ قليلـــو المِـــرا

ودَهمـــاءُ تهـــدِرُ هَـــدْرَ الفَنيـــقِ ... إذا مـــا امتطَـــتْ لهبـــاً مُســـعِرا

تَجـــيشُ بأوصـــالِ وَحْشـــيَّةٍ ... رَعَتْ زَهَراتِ الرُّبـــا أشـــهُرا[2]

فهذه الغرفة جميلة، تحفهاالرياض ونسيمها العليل، وبها خمر معتق انها بمثابة دعوة وذكره لهذه المحاسن لكي يستجيب المدعـــو ويسرع بالحضـــور.

وهذا المنزل أو الغرفة ذات منظر حسن، وروضة غناء، وصحبة طيبة تجمعه هو و أصحابه.

---

(1) الشعر في رحاب رياض سيف الدولة الحمداني ــ سعود محمد عبد الجبار ــ مؤسسة الرسالة، بيروت: الطبعة الأولى 1981م، ص 283.

(2) الديوان، ص232.

الأيم: الحية، علق: صديق، النفيس، الفنيق: الفحل.

وقال يستدعي صديقاً:

انظر مناداة لأصحابه لشراب الراح، وتناول الأقداح بحديث لطيف:

نَفسي فِداؤُك كيفَ تصبِرُ طائعــاً ... عن فِتيَةٍ مثــلِ البُــدورِ صِــباحِ
حَنَّتْ نفوسُــهمُ إليــك فــأعلَنوا ... نَفَســاً يَقُــدُّ مَســالكَ الأرواحِ
وغدَوا لراحِهمُ وذكــرُكَ بيــنَهم ... أذكى وأطيبُ مــن نســيمِ الــرَّاحِ
فإذا جرَت حَبَباً علــى أَقْــدَاحِهِمْ ... جعلوكَ رَيحاناً علــى الأقــداح[1]

فدعوته دائماً إلى مجالس الخمر كأن فى مجالسها تطيب لهم الجماعة.

وقال يدعو صديقين:

قائلاً :

غــــداةَ الشَّــــكِّ نَــــدعوكَ ... إلــــى الــــراحِ تُغادِيهــــا
فــــلاَ تَتــــأ ولَذَّاتُــــ ... ك دانٍ منــــك نَائيهــــا
فقَــد أضــحَت سِــجالُ الغَيــــ ... ثِ مُنْهَلّــــاً عَزاليهــــا
وبُسْــطُ الــرَّوضِ تُغنِيــك ... عــن البُسْــطِ نَواحِيهــا
رُبــىً طَيِّبَــةُ النَّشــرِ ... تُحيِّــي مَــن يُحيَيِّهــا
إذا ضــاحكَها البَــرقُ ... غَــدا الغيــثُ يبُاكِيهــا
وعنــدي قَينــةٌ تنُــثُ ... ر درَالقــول مــن فِيهــا
إذا دَغْــدَغَتِ العُــودَ ... رأينــاه يُناغِيهــا[2]

وها هو ذا يدعو أصحابه في هذا اليوم يسمونه بيوم الشك وهو يوم التحري لرؤية هلال عيد الفطر، ويرسل قوافيه باسلوب سهل وعذب يحكي عن رُبى نُشر طيبها وعذب ماؤها مع هذا الجمع كذلك وجود مغنية ذات صوت حسن جيدة العزف.

---

(1) الديوان، ص124.

(2) المصدر نفسه ، ص460.

يستدعى أبا بكر المراغي:

قائلاً:

لـــم أَلْـــقَ رَيحانـــةً ولا رَاحـــا إلا تَنَتْنـــــي إليـــــكَ مُرتاحـــــا

وعنـــــدنا طبيـــــه مهفهفـــــة تـــــرأم دِيمـــــا يحـــــثَّ صَـــــدَاها

تُفسِـــدُ قلبـــي إن أَصْـــلَحَتْهُ ولا أرى لمـــــا أفســـــدَتْه إصـــــلاحا

وفتيـــــةٌ إن تـــــذاكَروا ذَكـــــرُوا مـــــن الكـــــلامِ الملـــــيحِ أرواحـــــا

وقد أضـــاءَت نجـــومُ مجلسِـــنا حتى اكتسَى غُـــرَّةً وأوضَـــاحا[1]

ها هوذا يخاطب رفيقه أو صاحبه محبباً له عروضاً جميلة تشوقه، إلى، الراح ومجلس لطيف وهو يدرك ما يشعل به قلوبهم حسب فلسفتهم في هذه المجالس.

وقال يدعو أصدقاءه:

غَـــــدَتْ لـــــذَّاتُنا أَمَمَـــــا فلـــــم تَحسُـــــنْ لبُعْـــــدِكُما

وقـــد حَـــثَّ ابتســـامُ البـــر قِ دَمْـــعَ المُـــزْنِ فانســـجَما

وحَـــنَّ الرَّعْـــدُ حتـــى خِلْـــ ـــه يَســـتَعْطِفُ الـــدِّيَما

وعنـــــدي قَيْنَـــــةٌ نَظَمَـــــتْ شَـــــتِيتَ العَـــــيشِ فانتَظَمـــــا

كشَـــــمْسٍ ســـــالَمتْ ظُلَمـــــاً وغُصْـــــنٍ حامـــــلٍ عَنَمـــــا

وصـــــافيَةٌ إذا ابتســـــمَتْ أَرَتْنـــــا العـــــيشَ مُبْتَسِـــــما[2]

ومرة أخرى يناديهم ويحسن تلك الجلسة لمعاقرة الخمر ولكن هنا الطريقة تختلف قليلاً وهنا يعدد محاسن القْينَة ويردد في هذه الصور دوماً ما ألذ وطاب ليرغبهم في الحضور .

قال:

لنا قَهوَةٌ في الدَّنِّ تمَّتْ شـــهورُها فرقَّتْ حَواشيها وأشـــرقَ نُورُهـــا

يُحيَّيكَ بالمِسكِ الـــذَّكيِّ دُنُّوهـــا ويلقاكَ بالبِشْرِ الجميـــلِ بَشـــيرُها

---

(1) الديوان، ص123.

(2) المصدر نفسه، ص429.

وقد كَتَبْت أيدي الرَّبيعِ صـــحائفاً كأنَّ سُطورَ البَرق حُسناً سطورُها
فمِن رَوْضَةٍ سارٍ إلينـــا نســيمُها ومن مُزْنَةٍ مُرخىً علينا سُـــتورُها
وغرفتُنا الحسناءُ قد زادَ حُســنُها بزائرةٍ في كلِّ عـــامٍ تَزورُهـــا[1]

فهو يدعو إلى خمر معتقة، معطرة، والربيع نشر حسنه وطيور السنونو أو ما يشبهها فقد حدثنا عنها كثيراً وعن رحلتها في كل عام.

وقال لصديقا اهدى له قباب شمع في يوم الميلاد.

قائلاً :

بَعَثْتَ في المِـيلادِ لـــي بِدعـــةً تَحـــارُ فيهـــا عـــينُ رائِيهـــا
هَدِيَّـــةً لـــم أدْرِ مـــن ظَرفِهـــا أعجَبُ أم مِـــن ظَـــرفِ مُهـــديها
قبابَ شَـــمعٍ يَتَحَـــامى الـــدُّجَى مَجلِسَـــــنا عنـــــدَ تَلالِيهـــــا[2]

ويشكر صديقاً أهدى له قارورة ماء ورد:

يقدم الشكر وإعجابه بهذه الهدية الفارسية، كأنه ريحانه الزهر، صفا ماءها، نشر الريح طيبها فانتشر.

قائلاً:

بَعثْتَ بِها عذراءَ حاليـــةَ النَّحْـــرِ مشهَّرَةَ الجِلبابِ حُوريَّـــةَ النَّجـــرِ
تأنَّى لها طَبٌّ بـــإخلاصِ طيبِهـــا فأفرغ فيها رُوحَ رَيحانـــةِ الزَّهْـــرِ
وألبسَـــها وَشـــياً يَـــزُرُّ جيوبَـــه على النَّحْرِ منها والذُّيولَ على الخَصرِ
مُضمَّنَةً ماءً صَفا مثلَ صـــفوِها فجاء كذَوْبِ التِّبْرِ في جامدِ الـــدُّرِّ
ينوبُ بكفِّي عن أبيه وقد مضـــى كما نُبْتَ عن آبائِك الســـادةِ الغُـــرِّ
وَيَشْرَكُني في نَشرِهِ الريحُ غُدوةً فتجري إلى الآفاق طَيِّبَـــةَ النشـــرِ
فيا لكَ من بَرٍّ يخبِّرُ عـــن فتـــىً حَفِيٍّ بنـــا فـــي كـــل نائبـــةٍ بَـــرِّ
فإنْ يَكُ حيَّـــاني بهـــا فارســـيَّةً فسوفَ أحيِّيـــه بمُعربَـــةِ الشُّـــكْرِ

---

(1) الديوان، ص.232-233

(2) المصدر نفسه ، ص429.

وكم من يَدٍ للحُرِّ عنـــديَ ثَيِّـــبٍ كشفْتُ محيَّاهـــا بقافيـــةٍ بِكْـــرِ[1]

والبيت الثامن يحكى فيه الشاعر عن الطبع العربي والوفاء فتلمس فيه لطفاً.

المزاح:

هذا العصر أتاح للشعراء الكثير مما وجد فيه فظهور نواح كثيرة تطورت فيه، فمثل هذا الجانب من الشعر، أولوه اهتمامهم فالسري يمازح أهل الصنعة أو بالأحرى المقربين منه في السوق وأبناء بيئته.

قال يمازح رجلاً من أهل الموصل يدعى عبد الكريم المزيّن يقال كان أبوه مزيناً.

قال له:

سُـــيوفُكُمُ بحَمَـــدِ اللهِ نَفْـــعٌ إذا كانت ســيوفُ النــاسِ ضُــرَّا

فَلِمْ قَصُــرَت وأيــديكُم طِــوالٌ تُحكَّمُ فــي رِقــابِ النــاسِ طُــرّا

ومــا لفِــراخِكم تَبْــيَضُّ لونــاً فإن زَفَّــتْ شــآها الــزقُّ حُمــرا

ومــا لجــريحِكم وِتــرٌ علــيكم وكــلُّ جِراحــةٍ تُعتَــدُّ وِتــرا

ورُبَّ جَريــرَةٍ شــنعاءَ ســاقَتْ إلــى مُجتَرِّهــا حَمْــداً وذِكــرا

أرى أفعـــالَكم أفعـــالَ عِـــزٍّ فلِمْ أنتُم بِفَــرْطِ الــذُّلِّ أحــرى[2]

يخاطبهم قائلاً : إن كانت السيوف التي تقطع أو الأدوات الحادة التي فيها ضرر للناس فأن سيوفكم فيها نفع لما تفعله من حسن وتزيين، ومثل هذه المقطوعات نجد أن السري تفرد بها.

قال يمازح رجلاً من أهل بغداد في مجلس شرب:

قائلاً:

وملآنُ مــن عَبَــراتِ الكُــرومِ كــأنَّ علــى فَمِــه عُصــفُرا

---

(1) الديوان، ص247.

وتأثر شعراء العصر العباسي بالثقافة الفارسية واضحاً ففي هذه القصيدة ماء ورد فارسيه ونــوع هذه الهدايا لم يقصده العرب التي كانت تتهادى العيس، والخيول وغيرها.

(2) المصدر نفسه ، ص225. وترا: الثأر.

إذا قرَّبَتَـــه أكُـــفُّ السُّـــقاةِ مِـــنَ الكـــأسِ قَهقَـــهَ واســـتعبَرا
تُروِّحُـــه عـــذباتُ الغَـــرامِ بريَّـــا النَّســـيمِ إذا مـــا جـــرى
وريـــمٌ إذا رامَ حَـــثَّ الكُـــؤو سِ قَطَّـــبَ للتِّيـــهِ واســـتَكبرا
وجَـــرَّدَ مـــن طرفِـــهِ خَنجَـــراً ومـــن نُـــونِ طُرَّتِـــه خَنجَـــرا
تـــرى وَرْدَ وَجنَتِـــه أحمـــراً وريحـــانَ شـــاربِه أخضـــرَا
شـــكَرنا لإدريـــسَ أفعالَـــه وحُـــقَّ لإدريـــسَ أن يُشـــكرَا[1]

وهنا يصف مجلس الخمر وشاربيها وكؤوسها بشيء من الفكاهة.

وقال بديهياً أمام سيف الدولة وقد طلب منه الأمير هجاء الخالدي أبو بكر محمد وكان أبوه يبيع دواء الفأر وأطلق عليه الأمير قنافاً.

قال:

يَكْفيكَ أنَّ قُنافاً راعَـه غَضَـبي قبلَ الهِجاءِ فلاقى الحَينَ من فَـرَقِ
لو أنَّ قَمْلَ قُنـافٍ ثَلّـةٌ رَتَعَـتْ ليلاً من النَّقْعِ يَمحو غُـرَّةَ الفَلَـقِ
يا قاتلَ الفأرِ حتَّى مـا يُحِسُّـهُمُ أهلُ المنازلِ في صُبْحٍ ولا غَسَـقِ
قد كانَ لي وَطَرٌ في الشِّعْرِ أَخْلَقَهُ ما جالَ في أُذُني من شِعرِكَ الخَلَقِ
ليسَ القَريضُ دَواً للفـأرِ تَحِلـهُ من الشَّوارعِ والأسواقِ في طَبَقِ[2]

وقال يمازح رجلاً (كان مزيناً) من الموصل:

أَمَـا وأبيـكَ لا أنسـاهُ تُـدمي مضاربُ سـيفِه البطـلَ الكَمِيَّـا
وبَرقـاً فـي أنامِلِـه إذا مـا تَـأَلَّقَ فـتَّحَ الـوَردَ الجَنِيَّـا
إذا ظَمِئَت فِـراخُ أبيـكَ يَومـاً سقَاها مـن رِقـابِ القَـوم رَيَّـا
وإن جَـرَحَ الأخـادعَ مُطْمَئِنـاً كسـا الأوداج ديباجـاً بهيـاً
ولـم أرَ مثلَـه يُـدْعى عَقُوقـاً فيـدعوه الـوَرى بَـرّاً حَفِيّـا[3]

---

(1) الديوان، ص250. تروحه: تنعشه.

(2) المصدر نفسه ، ص328. القناف: كبير الأنف.

(3) الديوان ، ص 472.

وقال في رجل من شعراء بغداد:

وُصِفَ ابنُ يُوسفَ لي بكلِّ فَضيلةٍ ورأيتُــه فرأيــتُ منــه أثــوَلا
ســاءَلتُه عَــن عِلمِــه فكأنَّمــا ساءلتُ عن سُــكَّانِه رَبعــاً خَــلا
وعَجِبتُ من وَسَخٍ على أطرافِــه لو أُعمِلَت فيه المبارِدُ ما انجلُــى
هذا الأديبُ برُغمِ أهــلِ بــلادِه والشاعرُ الداعي إلى سُنَنِ العُــلا
ويقال إنَّ الشــيخَ يأكــلُ دائبــاً عَضَلاً يُداوي منه خَطباً مُعضِلا[1]

يتحدث عن هذا الشاعر ويصفه بالجنون ويصف ملابسه المتسخة ويقول في تعجب أنه يعيش في المدينة فكيف يرتدي هذه الملابس.

وقال يمازح رجلاً:

مَــنْ ذَمَّ إدريــسَ فــي قِيادَتِــهِ فــــإنني حامــــدٌ لإدريــــسِ
كَلَّــمَ لــي عاصــياً فكــانَ لــه أطــــوعَ مــــن آدمٍ لإبلــــيسِ
وكانَ في سِــرعَةِ المَجــئ بــهِ آصف في حَمْلِ عَرشِ بلقــيسَ[2]

قال لرجل يدعى ابن حسان:

يا ابْنَ حَسَّانَ والأنــامُ ضُــروبٌ حينَ تَتلــو أخبــارَهم وصُــنوفُ
غَرَّني منك ناظِرٌ يُكثرُ الإطــــ راقَ سَــمتاً وشــارِبٌ مَحفــوفُ
وتَكَشَّفْتَ فــالعَوارُ الــذي مــا زِلْــتَ تُخفيــهِ ظــاهِرٌ مَكشــوفُ
مُولَعٌ بالقُطوبِ يُظْهِــرُ سُــخْطاً ورِضــاه إذا استشــاطَ طَفيــفُ
كنتُ أُبقي على العَذولِ ومــا أد ري بأنَّ العَذولَ طُــرّاً لَفيــفُ[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص392. اتولا ــ مصاب بالجنون.

(2) المصدر السابق، ص262. إدريس : رجل يقال يقود النساء إلى الرزيلة.
آصف –الذى اراد حمل عرش بلغيس من ارض سبأ إلى سيدنا سليمان بن داود

(3) المصدر نفسه، ص308.

(*) أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي الحراني، أديب عالم، غلبت عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر، ولد بحران من قرى دمشق 313هـ، وتوفى ببغداد سنة

وهذه المقطوعة يتبين للقارئ الهجاء على طريقة فكاهية.

الشكوى والتظلّم:

شكواه دائما كانت مع الخالديين ومن تعصب لهم، ولزمان عاش فيه الكرب وفقر طال.

قال لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال(*) وكان كاتباً، لما علم بقدوم الخالديين إلى بغداد حذر السري أبا إسحاق منهما.

قائلاً:

كنت مُن ثروه القريض، مُحلـــي ... فتحليـــــت منـــــه بـــــالإملاق

أيها الحفن! غيـــر دمعـــك هـــذا ... إن تلك الحبيـــب غيـــر الفـــراق

قَطرَةٌ لو تَجِـــفُّ مـــن قُطرُبـــيٍّ ... دَرَسَتْ بعـــدَها رُســـومُ الشَّـــقاق

فاتَّخِذْ مَعْقِلاً لشِـــعْرِكَ يَحْميـــــ ... ـــه مُروقَ الخـــوارجِ المُـــرَّاق[1]

ثم يقول:

يا هلالَ الآدابِ يا ابْـــنَ هـــلالٍ ... صَرَفَ اللهُ عنكَ صَرْفَ المَحـــاق

أنتَ مَنْ تَسهُلُ المعـــالي عليـــه ... وهي في مَعْشَرٍ صِعابِ المَراقـــي

سِلْعَةٌ ما لِمَـــنْ يحـــاولُ حِـــرْزٌ ... حَيَّـــةٌ مـــا لِمَـــنْ يُســـاورُ راقـــي

سَوف أُهْدي إليك من خَدَمِ المَجْـــ ... ـــدِ إماءً تَعـــافُ قُـــبحَ الإبـــاق[2]

ويختمها واصفاً:

فأَنا الغَيْظُ في صُدورِ الأعـــادي ... وشَجاها المُقيمُ فـــي الأَحـــلاق[3]

384هـ، من آثاره ديوان شعر وديوان رسائل، انظر: النجوم الزاهرة لأبن تغري، ، دار الكتب المصرية، القاهرة: ط1ـ 1933م، ج167/4.

(1) الديوان، ص333-334.

(2) الديوان، ص335.

(3) المصدر نفسه، ص334.

وعندما يناديه يا هلال الآداب، كأنه يستعطف قلبه ويأخذ بعطفه، ويحذر من أعدائه في ختام القصيدة بأنه الشجا الذي يعلق في الحلق.

ويقول:

أُسَـــلِّمُ للأَيَّـــامِ أَم لا أُسَـــلِّمُ وأَحمِـــلُ ظُلْـــمَ الـــدَّهْرِ أَمْ أتظَلَّـــمُ
بَكَيتُ على شِعْرٍ أُصيبَ كما بكى على مالكٍ لمَّـــا أُصـــيبَ مُـــتَمِّمُ[1]

ويقول في الدهر:

يا دَهْرُ صافيتَ اللِّئـــامَ مُســـاعِدا لهُـــمُ وجانَبْـــتَ الكِـــرامَ مُعانِـــدا
فغَدَوْتَ كالميزانِ يَرْفَعُ ناقِصـــاً فينا ويَخْفِضُ لا محالـــةَ زائـــدا[2]

الشكوى والعتاب، والتظلم لمن ناصر أعداءه كان لها حظ وافر في ديوانه فضرب لها مثلاً في قوله لأبي بركات لطف الله قائلا:

أَكُفٌّ تَغلبَ أنواءُ الحَيا الجـــاري ونارُ بأسِهِمُ أذكـــى مـــن النـــارِ[3]

إلى قوله:

بيني وبينَ الجـــاهلين ضـــغائنٌ خزرُ النَّواظرِ يقتضـــين طـــوائلاً
فلئن عفوتُ لأسْـــدين عوارفـــاً ولـــئن ســـطوتُ لأُســـدينَّ زلازلا
وتناهبا منـــه دمـــي فـــرَجَعنَ دا ميـــــة النحـــــورِ عـــــواطلِ[4]

في عتابه لشماشطي[5]، فعاتبه قائلاً:

أبا حسَـــنٍ إنَّ المَكـــارِمَ جَمَّـــةٌ وأحسنُها إنصافُ خِـــلٍّ مُناصِـــفِ

---

(1) المصدر السابق، ص407.

وتمم: إشارة إلى بكاء متمم بن نويرة شاعر عربي يبكي أخاه عندما قتل.

(2) الديوان، ص166.

(3) المصدر نفسه، ص 297.

(4) الديوان، ص392.

(5) الشمشاطي: شاعر من شمشاط وأرمنيه وكان معلم كأبناء ناصر الدولة الحمداني، ص279.

تناسَيْتَ وُدِّي من قديمٍ وحـــادِثٍ وأغفَلْتَ شُكْري من تَليدٍ وطارفِ[1]

وشكا حاله التي ساءت عندما ناشد كثيراً من الأمراء وأصحاب العطاء، في أنات عن زمان وأصابه.

الاعتذار:

وها هو يعتذر للأمير سيف الدولة ويرسل قوافيه لعلها تخرجه من هذا الصنيع فهو اعتذار لأمير فيه أدب، وطريقة يستميح بها الملك.

قائلاً:

ما كفَّ شادِيَهُ اعتراضُ عتابِـــه بل زادَه طربـــاً إلـــى أطرابِـــه[2]

وأرى الصبابة إربه لو لم يشب يوماً حلاوتهـــا الفـــراق يصَـــابه

ومن بعد هذا يتطرق إلى خلافة مع العدو ويتحسر على أيامه قرب الأمير وجاء يذكر الخالديين ليبين سبب خروجه عندما ضاقت عليه الأرض وهم بها إلى قوله مخاطباً الأمير.

قائلاً:

فارقتُ مشربَه الذي لا تنطفـــي غُلَـــلُ الحَشـــا إلا ببَـــردِ شَـــرابِه

ودخلتُ أبوابَ الندامـــةِ بعـــدَما عصفَت بيَ الأحداثُ عن أبوابِـــه

هي زَلَّةُ الرأي التي نَكصَ الغِنَى من سُـــوءِ عُقبـــاه علـــى أعقابِـــه

فوحَـــقِّ نِعمَتِـــه علـــيَّ وطَوْلِـــه قسَماً يقول الســـامعون كفـــى بِـــه

ما سَوَّلَتْ لي النَّفسُ هجرَ جَنابِه عند الرحيل ولا اجتنـــابَ جِنابِـــه

أنَّى وقد نِلـــتُ الســـماءَ بقُرْبِـــه وبلغْـــتُ قاصـــيةَ المُنـــى بثَوابِـــه

وحَوَيتُ فضلَ المالِ من إفضالِه ومحاســـنَ الآدابِ مـــن آدابِـــه

لكنَّـــه رأيٌ حُرِمْـــتُ رَشَـــادَهُ وبَعُدْتُ عن تســـديدِهِ وصَـــوابِه[1]

---

(1) الديوان، ص.

(2) الديوان، ص. الأربة : أراد بها الغاية

الصاب: شجر مر

الاعتذار هنا إلى ملك فقد أخذ شكل واضح فيه الأدب والذوق وطريقه الاستعطاف واعتذار لما بدا منه وفعل، وأنه نادم على فراق السماحة، والجود التي كانت بقربه الأمير، وقد حفاها به وهو يتمنى وأن تعود له هذه الأيام.

العتاب:

قال يعاتب أبا الفوارس سلامه بن فهد وهو من الأمراء قائلا:

أَيُّ قَـــوافٍ يَعـــزُّ مُونِقُهـــا ... فيَســـتَرِقَّ القُلـــوبَ رَيِّقُهـــا

مصـــونَةٌ والخُطـــوبُ تَبـــذُلُها ... أحسَـــنُها صَـــنعةً وأرشَـــقُها

وكـــان جُـــودُ الكِـــرامِ يُنبِتُهـــا ... فصـــارَ مَنْـــعُ اللِّئـــامِ يُحْرِقُهـــا

سِيروا إلى المَجدِ قبـــلَ ســـائرَةٍ ... أطلـــقَ منهـــا السِّـــبا وأطلَقَهـــا

إن أَكسُكُمْ مـــن مـــدائحي جُنَنـــاً ... فـــإنَّ لـــي أســـهُماً تُمَزِّقُهـــا

شَوارِداً في البِلادِ مـــا افترَقَـــتْ ... إلاّ رَأَيـــتَ اللبيـــبَ يَفرُقُهـــا

أمَّا ابنُ فَهْـــدٍ فقَـــد وَرَدْتُ لـــه ... مَـــوارِداً لـــم يكـــنْ يُرَنِّقُهـــا

صَنائِعٌ تُنشـــئ المحامـــدَ كـــالْ ... أَنْـــوَارِ راحَ الحَيـــاءُ يَفتُقُهـــا

فسَـــائِلاهُ الغَـــداةَ كيـــفَ سَـــلا ... عَنِ القَـــوافي وكـــان يَعْشَـــقُها(2)

هنا يخاطب الامير ويذكره بقوافيه التي كانت محل اعجابه ويقول ماذا جد ايها الامير حتى جافيت قولي وكنت العاشق له، فهو يتحلى بالصبر فعسى أن سحاب الأمير ينزل على أرضه.

---

1) الديوان، ص330.

(2) الديوان ص 36-37.

قائلا في ختامها:

فسوفَ أستشعرُ الجميلَ مِنَ الصْـــ صَبْرِ عسى اللهُ منـــه يَرزُقُهـــا[1]

وفي آخر يعاتب أبا جعفر، ويبدو أنه من المقربين له أو من أصحابه يناشده ويذكره بأيامه وعهده أو ما كان بينهم.

قائلاً:

أبا جَعفَرٍ لِـــمَ تَنْسَـــى الصَّـــنيعا وقد كُنتَ تُحْسِـــنُ فِـــيَّ الصَّـــنيعا

أراكَ تَناسَـــيْتَ عَهْـــدي القـــديمَ فضـــاعَ ومـــا حقُّـــهُ أن يَضـــيعا

فلا نـــازحُ الـــوُدِّ يُـــدْني الـــدُّنُوَّ ولا غائِبُ الشَّرِّ يَنـــوي الرُّجوعـــا

فلـــولا الحَيـــاءُ أَراكَ العِتـــابُ بديعاً مـــن الَّـــنظمِ يَتلـــو بَـــديعا

مَلُـــومٌ ويخضَـــعُ بعـــدَ المَـــلامِ فيلذَعُ لَوْمـــاً ويأســـو خُضُـــوعا[2]

وصف الشيب:نجد ان الشاعر اهتم به وبوصفه

قائلاً فيه:

رَأتْ شيئاً يُضـــاحِكُها فصَـــدَّتْ وكـــان جَـــزاؤُهُ منهـــا العُبوســـا

وقالَـــتْ إذ رَأَتْ للمِشْـــطِ فيـــه سَـــــواداً لا يُشـــــاكِلُهُ نَفيســـــا

تَلَقَّ العاجَ منـــه بمِشْـــطِ عـــاجٍ ودَعْ للآبنـــــــوسِ الآبنوســـــــا

فإنْ أَسِيتْ لجُرْحِ الشَّيْبِ نَفْســـي فإنَّ الشَّيْبَ جُرْحٌ لـــيسَ يُوســـى[3]

وقال فيه أيضاً:

وزَهَّدَني عارُها فـــي الخِضـــابِ فجانبْـــتُ زُورَ الشَّـــبابِ المُعـــارِ

وســـرَّحْتُ للشَّـــعْرِ بـــالآبَنوسِ فسرَّحْتُ بالعـــاجِ شَـــيبَ العِـــذارِ

---

(1)الديوان ص 330.

(2) المصدر نفسه، ص285.

(3) المصدر السابق، ص263.

أُلاقي الظـــلامَ بمثـــلِ الظَّـــلامِ وألقـــى النهـــارَ بمثـــلِ النَّهـــارِ[1]

إذا أصابك فارضى بالذي حل عليك، ودعه ولا داعي إلى تزويره بالخضاب، فهو شباب معار، وزيف.

وهذة الأغراض اجاد فيها الشاعر وتفرد بها واظهرت مقدرته الفنيه.

(1) الديوان، ص222.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : **الصورة الفنيــة**

المبحث الثاني: **الموسيقى الشعرية**

المبحث الثالث: **بناء القصيدة**

المبحث الرابع : **اللغة والأسلوب**

المبحث الأول
الصورة الفنية

مفهوم الصورة الفنية:

الصورة الفنية عند العرب ترد أو ترجع إلى ظاهرها، أي بمعنى حقيقة الشيء، وهيئته، يقال صورة كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا أي صفته[1].

ويقال تصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير التماثيل، ومن أسماء الله الحسنى المصور، قال تعالى في محكم تنزيله: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)[2]، والمصور هو الذي صور جميع المخلوقات[3].

والصورة الفنية تعد جوهر العمل الأدبي، وهي المكون الأساسي لعملية البناء الفني، وهي التي توضح قدرة الشاعر على الخلق والابتكار[4].

وهي محل اهتمام النقاد قديماً وحديثاً، فعند العرب القدماء تندرج الصورة تحت علم البيان خاصة (البلاغة) من تشبيه – استعارة – وكناية[5].

العرب من قديم اهتموا بها. انظر مثلاً قول زهير بن سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[6]

وكثيراً ما اهتم بها علي طريق القدماء،مثل قدامة، جاحظ، العسكري وغيرهم .

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة صور

(2) سورة الانفطار، الآية 8.

(3) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق عبد الغفور، دار الملايين، الطبعة الثانية، 1984م، مادة صور، ج2، ص717.

(4) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع،الاسد– دار الفكر العربي اللبناني، 1986م، ص16.

(5) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، الطبعة الثانية، 1984م، ص12.

(6) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح محمود طه، دار الفكر، ببيروت، 1995م، ص117.

ويؤكد الجرجاني(*) على أهمية الصورة البيانية قائلاً: إن الشعر تصوير وإن الصورة الفنية لها عدة عناصر ولكن أهمها الصورة البيانية[1].

وفي العصر الحديث توسع مفهوم الصورة الفنية، وتخطى الأنماط البلاغية إلى سعة في الخيال، ونظرة دقيقة، صورة فعلية حسية وطاقات لغوية... الخ، وصف سيد قطب حدود الصورة قائلاً: (إن الصورة لا تقف عند الأشكال البلاغية المعروفة، بل تتجاوزها إلى الوصف المباشر إلى الأشياء)[2].

وأول من اهتم بأمرها الرَّماني قائلاً عن أهمية (الصورة) تكمن في القيمة الجمالية التعبيرية والصورة التي تفتقر إلى هذا العنصر ليست من البلاغة في شيء)[3].

وهذه الصورة وما يدور حولها خاصة بالفنان أو الشاعر، علينا أن نستقبلها، كما رسمها وفي أي قالب وضعها، وأكد هذا القول الآمدي إذ قال: (ليس العمل على نية المتكلم وإنما العمل على توجيه معاني وألفاظ)[4].

اهتم النقاد حديثاً بالتحليل البلاغي وركزوا على دراسة الصورة وآثارها التي تحدثها في المتلقي، قال في ذلك جابر عصفور لا تكون الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجهه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ولكن أياً كانت هذه

(*) الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الدار، إمام في العربية واللغة والبلاغة، وهو أول من استنبط علم المعاني والبيان، صنف شرح الإيضاح لأبي على الفارسي، ودلائل الإعجاز في المعاني وأسرار البلاغة، توفى سنة 471هـ ، انظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، ص 188.

(1) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: التنجي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م، ج1، ص77 وما بعدها.

(2) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، 1982م، ص23.

(3) رسائل في إعجاز القرآن الكريم: الرماني والخطابي وجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1934م، ص75.

(4) الموازنة بين أبى تمام والبحتري: الآمدي، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص191.

الخصوصية، وذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه وتأثيره[1].

ونجد أن الأدب العربي الحديث تأثر بالآداب الغربية، وإن كثيراً من المحدثين أو المهتمين بالصورة الفنية من شعراء ونقاد، تأثروا بالمدارس الأوربية[2]. هذه المدارس من كلاسكية ورمانسية وغيرها أنها قامت بعد القرن الخامس عشر الميلادي إذن فى إطار التأثر بها فالأدب متجدد وبه روابط وان هذه المدارس منبثقة من الثقافات الإغريقية ونجد أن الفلسفة الإسلامية لها باع فى هذا فالفيلسوف ابن رشد(*) يعتبر الشارح الأكبر الذي استفادت منة أوربا فى شرح أرسطو.

ولا ضير من هذا التأثير، فلم يفقد الأدب العربي خصائصه وطابعه الخاص، لأن هذه المدارس والاتجاهات لا تمحو خصائص الشعوب ولا لغاتها[3].

وكثيراً من الكتاب أكدوا بأن اللغة العربية حافظت على خصائصها وأنها لم تستــق إلا ألفــاظ ومعاني قليلــة، وهذه الألفاظ تبلورت وأصبحت عربية، ومن الأشياء التي اهتم به العرب حديثا الخيال حيث يقال عنه: (إنه لغة العاطفة الحارة والشعر الفياض)[4] وإنه وسيلة للكشف عن الأسرار وليس المقصود به البعد عن الحقائق والجري وراء الأوهام، إنما يقصد به تجسيم الحقائق، وتوضيح وتزيين وتقوية المعنى[5].

---

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة، بالقاهرة، 1974م، ص8.

(2) الأدب ومذاهبه: محمد مندور، دار النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ص3.

*ابن رشد هو محمد بن احمد بن رشد فقيه – فيلسوف – طبيب من أهل الأندلس ومن إثارة المقــال – التهافت فى الفلسفة – الكليات فى الطب – انظر –شذرات الذهب –لأبن عماد–ج5–ص31

(3) الأدب ومذاهبه، مندور، ص 54 وما بعده.

(4) البناء الفنى على على الصبحى– ص123

(5) لآداب العربية فى العصر العباسى الثانى– محمد عبدالمنعم خفاجى، ط ، ص431

التشبيه ودوره في الصورة الفنية:

التشبه والتشبيه لغة: المثل، أشبه الشيء: ماثله.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[1] قيل بعضه بعضاً. (وقوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلمً :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[2].

يقول ابن رشيق عنه: (التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع الجهات؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه). إذن يرى التشبيه أبداً على الأعراض لا على الجوهر[3]

وقال القزويني: هو دلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى[4] ويقال التشبيه محل اهتمام العرب لنصاعة بيانه، وقرب مآخذه وله دور كبير في الصورة الفنية، إنه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم، ولم يستغن أحد منهم عنه[5]. ويقول الجرجانى التشبيه من الأصول وكأن جلَ محاسن الكلام راجع له وللاستعارة[6].

---

(1) سورة آل عمران، الآية : 7.

(2) الحديث.صحيح مسلم- شرح ا لنووى

(3) العمدة، 286/1، وضرب مثلاً فلان كالليث شجاعة لا ـــــ وزهوته.

(4) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، وكذلك قول ابن ســنان في كناية، الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م، ص246.

(5) الصناعتين، أبو هلال العسكري،تحقيق على محمد بجاوى وابو الفضل المكتبة العصرية بيروت ص243.

(6) اسرار البلاغة ، الجرجانى، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المدنى، جداة ، ط2، ص27

ومن خلال هذه التعريفات للتشبيه نجد أن الشاعر السري استخدم التشبيه وتوسل به لإخراج صورته الفنية.

قال :

مثلَ الشِّهابِ محرِّقــاً أو كاشــفاً ظُلَــمَ الخُطــوبِ بنُــورِه أو نــارِه

أو كالحُسامِ إذا مضَى في مَشهَدٍ شَــهِدَتْ مَضــارِبُه بعُتْــقِ نِجــارِه

أو كالرَّبيعِ الطَّلْقِ واجهَ قَطْــرُه وجهَ الثَّرى فاخضرَّ مــن أقطــارِه[1]

هنا الشاعر شبه ممدوحه بالهيبة والقوة عندما جاء بلفظ الشهاب وهو يراه كالسيف الذي نشهد مضاربه، وتوسل بهذا التشبيه ليقع على آذاننا هذه الصفات الحميدة التي يتحلى به ممدوحه، ويزد فيها بتشبيهه بالربيع الذي أندى وجه الثرى، فنحس بالكرم وعطاءه كيف يبدل الحال من حال إلى حال، وهنا تشبيه عقلي.

قال :

وعَذارَى كــأنَّهُنَّ مِــنَ الحُــس نِ عَــذارَى سَــفَرْنَ للعُشَّــاقِ[2]

شبه النخل وتمره اليانع بالحسن والبهاء بجمال عذروات يظهرن هذا الجمال لعشاقهم، واستخدم بهذا التشبيه ليصل لصورة فنيه رائعة، فكلمة عذارى الأولى للتمر والثانية للفتاة الجميلة، تشبيه محسوس بمحسوس أو مرئي ووجه الشبه الحسن والجمال في كلٍّ وقال:

ماءُ النَّعيمِ على دِيبــاجِ وَجنتهــا يجولُ بين جَنــى وردٍ وتُفَّــاحِ[3]

---

(1) الديوان، ص209، والتشبيه بالسيف والشهاب والليث معروف في الشعر العربي فهو من التراث العربي.

(2) المصدر نفسه، ص337، وهذه الصورة في الشعر العربي معروفة.

انظر قول ابن العميد: قامت تظللنى من الشمس – نفس أعز على من نفسى

(3) المصدر نفسه، ص123. قال ابن رشيق يضرب مثلاً للتشبيه الأثري قولهم خد كالورد إنمــا أراد حمرة أوراق الورد وطراوتها وملمسها. العمدة، 286/1.

يشبه الحسناء ذات اللون الصافي وخدها النضر بالورد في ملمسه ونعومته و يشبه بلون التفاح بجامع الحمرة، وهو تشبيه محسوس بمحسوس.

قال :

والتهَبَـــت نَارُنَـــا فمنظرُهـــا يُغْنيكَ عن كـــلِّ منظـــرٍ عَجَـــبِ
إذا ارتمَتْ بالشَّـــرارِ واطَّـــرَدَتْ علـــى ذُراهـــا مَطـــاردُ اللَّهَـــبِ
رأيـــتَ ياقوتـــةً مشـــبَّكةً تَطِيرُ عنهـــا قُراضَـــةُ الـــذَّهَبِ[1]

وهنا يشبه هيئة النار وصورتها ترمي بالشرر وقد انتشر اللهب فوقها وهذا المنظر صورة كأنه ياقوته من ذهب تتناثر حبيباتها، فمنظر شرر محمر لونه متطاير عندما يشتد يصل إلى درجة إصفرار فينزع الشاعر هذه الصورة ويتوسل بتشبيه محسوس.

قال فى الدولاب:

فـــانظُرْ إليـــه كأنـــه وكأنمـــا كِيزانُـــهُ والمـــاءُ منهـــا ســـاكبُ
فَلَكٌ يدورُ بـــأنجمٍ جُعِلَـــت لـــه كالعِقدِ فهي شَوارِقٌ وغَـــوارِبُ[2]

شبه الدولاب (الساقية) يدور والماء ينصب من هذه الكيزان بأجسام بيضاء فيهالمعلة تظهر وتختفي أثناء حركة الدوران.

---

(1) الديوان، ص101.

القراضة: فنان المعدن وأراد به هنا الشرار.

(2) المصدر نفسه، ص66.

قال :

أرى هِمَّةً تختالُ بينَ الكواكــبِ وطَوْداً من العلياء صعْبَ الجَوانبِ

ومَربِضَ آسادٍ ومَعــدِنَ سُــؤدُدٍ ومَوئلَ مطلوبٍ وغايــةَ طالــبِ[1]

شبه همة ممدوحه في علو يتباهى بين الكواكب، وحذف الأداة على صيغة أقرب إلى البليغ وهو أبهى التشبيهات، وهنا تشبيه معقول بمحسوس، فأراد العلو والرفعة له، وهذه قيم ترتاح لها النفس العربية إذ الشاعر استلهم هذه الصورة من التراث العربي، وأرى أنه وفق في نقل هذه الصورة ليصل بهذا التشبيه إلى ما أراده من علو الهمة والصفات الجميلة للممدوحة .

وقال :

لي منزلٌ كَوِجارِ الضَّبِّ أَنزِلُــه ضَنْكٌ تَقارَبَ قُطراهُ فقــد ضــاقَا

أراه قَالَبَ جسمي حــينَ أَدخُلُــه فما أَمُدُّ بــه رجــلاً ولا سَــاقا[2]

شبه المنزل بجحر الضب لشدة ضيقه، وتوسل بهذا التشبيه ليصف حاله، وضيق هذا المنزل دلالة على الفقر وعسرة والبيت الثاني يستقصي المعنى ويشكو قاصداً لإيضاح حاله، وحال منزله الذي كالسجن. وهنا تشبيه محسوس بمحسوس.

---

(1) المصدر نفسه، ص350.

هذه الصورة من التراث العربي، فهي صورة معروفة في الشعر العربي وتظهر جمــال التشــبيه – وإطلاق ألفاظ في قالب معين تكتمل بصورة الفنان ويظهر ما أراد. لأن العرب قــديماً عرفــت هــذه التشبيهات ففي معلقة عبد الرحمن بن بشكر يقول:

تَمنَحُ المَرآةَ وَجهاً واضِحاً مِثلَ قَرنِ الشَمسِ في الصَحوِ اِرتَفَع

وكأن المرأة فرحة بهذا الحسن الذي أطل عليها.

السري يقول:

للهِ سيفٌ تمنَّى السيفُ شِيمَتَه ودولةٌ حَسَدَتها فَخْرَها الدُّوَلُ

(2) المصدر نفسه، ص 337.

قال:

له قَلَمٌ تجري النجــومُ بجَرِيــه يُطيعُ لــه حَــتْمَ القَضــاء ويَســمعُ
يُديرُ سُــعوداً أو نُحوســاً وإنَّــه منَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ في الجَــوِّ أســرَعُ
إذا ما امتطى منه ثلاثَ أنامــلٍ بَدا ساجِداً من تَحتِها وهي رُكَّــعُ[1]

شبه القلم بالنجوم في السرعة وهذا معروف (علم التنجيم)، وصور هذه الأنامل كأنها في ركوع وسجود وهذا تشبيه بمحسوس.

ودور التشبيه في شعر السري يتضح أيضاً في تجسيم وتشخيص[2] المعنويات وأطفاءالحركة والحيوية، فإذا نظرت إلى الجامد والمعنوي ألبسهما ثوب الحياة وأعطاهم صفات آدمية.

قال :

حديثٌ كابتسامِ الرَّوْضِ جــادَتْ عليه بفــيضِ أدْمُعِهــا السَّــحابُ
وأقداحٌ تَفُــوتُ المِســكَ طيبــاً ويَكمَدُ عنــدَها الــذَّهَبُ المُــذابُ
إذا ما الــرَّاحُ والأُتــرُجُّ لاحــا لعينِك قلــتَ أيُّهمــا الشَّــرابُ[3]

(1) الديوان، ص 289 والهدايه بالنجوم كانت معروفة لدى العرب فإنها تجلب السعادة أو النحس كما كان يعتقدون في ذلك الزمان.

(2) التجسيم: هو إبراز المعنى والخاطرة إلى هيئة منظور مرئي والتشخيص هو القدرة علــى خلــق الأشكال للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعضها للمعاني المحسوسة أى أن يمنح الشاعر المعنى الآدمي لهما. انظر ابن الرومي حياته وشعره، العقاد، ص33، وأيضاً يشير له صــاحب البنــاء الفني، علي علي صبحي، ص123 وما بعدها.

(3) الديوان، ص65.

كيف للروض أن يبتسم ولكن هنا الشاعر رآه فرحاً بما نزل عليه من الغيث وهو يتحدث عن منزل، وجدوا هو ومن معه اللذات الصافية، وكأن أفراحه من طيبها تفوق المسك عطراً والذهب لوناً، و كأن الورد منها يتفتح.

إلى هذا اكتفي بضرب هذه الأمثلة للتشبيه في ديوانه، قد حفل الديوان بكثير من التشبيه، وإن صح القول فإنه مولع به، ولتشبيهاته قيمة أدبية وتاريخية، وتلاحظ الباحثة أن غالبية التشبيه المستخدم هو نوع المحسوس بالمحسوس، أي : المشبه والمشبه به حسيان وقليل جداً التشبيه الحسي بالمعقول. والمراد بالحسي ما يدرك بالحواس الخمس والعقلي هو ما لا يدرك بالحواس الخمس.

الإستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية

الاستعارة:

أعار إعارة الشيء ومن الشيء أعطاه إياه إعارة والعَارة، ما تداولوه بينهم وقد أعار منه وعاروه إياه[1].

وقال عنها الجرجاني أعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي ، أمد ميداناً أو أشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً، وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة، أسحر سحراً، أملاً بكل ما يملا صدرا ويمتع عقلاً ويؤنس نفساً وأنها تعطيك الكثير من المعاني باليسيرمن اللفظ[2].

وتحدث السكاكي[*] عنها قائلاً: (الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كقولك: إن المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية المفترس (السبع) بإدعاء السبعية لها، وإنكار أن يكون شيئاً غير مفترس أوسع مثلاً فتثبت لها ما يخص المشبه به وهنا الأظفار[3].

وذكر الجاحظ[*] أن (الاستعارة تسمية للشيء باسم غيره إذا قام مقامه)[4].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة عور .

(2)انظر: أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ص42وبعدها

(*) السكاكي : يوسف بني أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، الخوارزمي، سراج الدين أبو يعقوب، عالم بالنحو والتفريق والمعاني والبيان والعروض والشعر، ولد في 3 جمادي الأولى سنة 555هـ ، وتوفى في بخوارزم سنة 626هـ. من آثاره تلخيص المفتاح. معجم المؤلفين، ج 148/4، مرجع سابق.

(3) مفتاح العلوم، للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص369.

(*) الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظية من المعتزلة. ولد في البصرة سنة 163هـ وتوفى سنة 255هـ ـ من آثاره البيان والتبيين ـ وكتاب الحيوان، انظر: الاعلام للزركلي، ج74/5، مرجع سابق.

(4) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، 116/1.

والاستعارة محل اهتمام؛ حيث لأنها تكسب الصورة الفنية بعداً فنياً واضحاً، وابن المعتز في كتابه تصدرت الاستعارة المقام الأول في البديع[1]. إذن هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة لإرادة المعنى الحقيقي[2]. الاستعارة المكنية هى ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء منه لوازمه، أنظر قوله تعالى:(وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ)[3].

والقرآن الكريم أعظم بيان قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[4]. إن الظلمات ما أريد بها إلا الضلالة والنور الهدى، والله أعلم.

ولنرى استعارات السري في ديوانه:

قال :

مواطنُ لم يَسحَبْ بها الغَيُّ ذيلَــه وكَمْ للعوالي بينَها من مســاحِبِ[5]

شبه الغي بشيء له ذيل وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو سحب الذيل على سبيل الاستعارة المكنية.

قال :

أبِــيٌّ تــذِلُّ صُــروفُ الزمــانِ لَدَيــه فتنقــادُ بعــدَ الإبــاءِ[6]

شبه صروف الزمان ومصائبه بالإنسان يصيبه الذل والانكسار فالممدوح لفرط قوته وشجاعته يقهر ويذل صرف الزمان وقد صرح بالمشبه

---

(1) البديع، ابن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص75.

(2) زهر الربيع، أحمد الحملاوي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، ص108

(3) سورة يس الآية 37.

(4) سورة إبراهيم، الآية1.

(5) الديوان، ص84.

(6) المصدر نفسه، ص15.

وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة إثبات الذل لصروف الزمان.

قال :

إذا القـــيظُ أخمـــدَ نيرانَـــه تَواصَـــى النَّـــدامى بإقصـــائِها[1]

شبه القيظ واشتداده بحرارة النار وهي متقدة، بجامع الأتقاد والحرارة في كل ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (أخمد نيرانه) للمشبه (القيظ) على سبيل الاستعارة التصريحية، وجاءت الاستعارة لتوسيع المعنى وتعطية الغاية التي استعير بها كما يقال أن الاستعارة (أبلغ من التشبيه وأفضل منه لأنها مبنية على تناسبه مبالغة في المعنى)[2].

قال :

تبكي العلومُ عليه فـــي أوطانِهـــا وريـاضُ تلك الصُّحْفِ والأقـــلامُ[3]

شبه العلوم (المشبه) بإنسان تنزل منه الدموع وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

قال :

ضحكت أوجـــهُ اللَّـــذاذةِ بالفِـــك رِ ولاحَـــتْ طوالـــعُ السَّـــرَّاءِ[4]

جعل اللذة تضحك فهنا شبهها بالإنسان وحذف المشبه به على سيبل الاستعارة المكنية.

---

(1) الديوان، ص19.العرب تقول قاظ يومنا اي اشتد حره – مختار الصحاح–الرازى – مكتبة لبنـــان ص492

(2) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبحى، ص167.

(3) الديوان ، ص44.

(4) المصدر نفسه، ص22.

قال :

أأبنـــاءَ الصـــليبِ تواعَـــدَتْكم قواضبُ تَنثُرُ الهـــامَ اقتضـــابا[1]

قواضب تنثر الهام والرقاب تطيح بها السيوف، هذه صفة تخص الأزهار استعارها لإثبات النثر للهام ولما له على كثرة ضربهم. وأجراها على سبيل الاستعارة المكنية.

قال:

كَسَوتُه حَبَراتِ المَـدحِ مُذهَبـةً وقلتُ قد مُلِئَتْ كَفِّي بـــه ذَهَبـــا[2]

شبه قصائد مدحه بالحبرات المذهبة، وحذف المشبه واستعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة كلمة مدح.

وقال :

وقطعتَها والليـــلُ يصـــدعُ قلبَـــه ضـــدانِ نـــارٌ تســـتنيرُ ومـــاءُ[3]

استعار لليل (المشبه) صورة إنسان له قلب وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

لعبت الاستعارة في شعره دوراً بارزاً حيث أعطت دورها في تشـــكيل صوراً شعرية جميلة، وقوة من المعنى، فالناظر إلى ديوانه يرى أنه عمد إلـــى استعارة المكنية أكثر من التصريحية وغيرها، لأن التصريحية يصرح بها بلفظ المشبـــع به والمتنية يحـــذف فيـــها المشـــبه والحذف أبلغ من التصريح.

---

(1) المصدر نفسه، ص27.

(2) الديوان، ص65.

(3) المصدر نفسه، ص17.

الكناية:

وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ، انظر قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[1].

والكناية هي من العناصر البارزة التي يتوسل بها الشاعر في تشكيل الصورة الفنية، وتقف جنباً إلى جنب مع العناصر الأخرى من تشبيه واستعارة.

ويقال (الكناية تجسم المعنى المجرد، وتبرزه في صورة محسة متخيلة)[2].

قال السري الرفاء :

رحيبُ الصَّـــدرِ يُنـــزِلُ آمليـــهِ من الأمـــلاكِ أوســـعَها رِحابـــا[3]

الكناية في رحيب الصدر كنى بها عن صفة الحلم التي يملكها الممدوح وعن كرمه وعطاءه.

قال :

سلامةُ يـــا خيـــرَ مَـــنْ يَغتـــدي سـليمُ الزَّمـــانِ بـــه مُســـتَجيرا[4]

فقوله (سلامة) وكنى بها عن أبي الفوارس سلامة بن فهد، عن موصوف.

قال :

أحوالُ مجدِكَ في العُلُـــوِّ سَـــواءُ يـــومٌ أَغَـــرُّ وشـــيمَةٌ غَـــرَّاءُ[5]

---

(1) سورة الفتح، الآية 10.

الإيضاح في البلاغة، القيرواني، ص456.

(2) البناء الفني، علي علي صبح، ص177.

(3) الديوان، ص26.

(4) المصدر نفسه، ص206.

(5) المصدر السابق، ص16.

كناية أحوال مجدك في العلو كناية عن نسبة، أي إنه ذو رفعة وسؤدد، وعدل على ذلك بإسناد العلو إلى المجد.

وقال :

وعادَ عليكَ عيدُك مـــا تـــوارى جبينُ الشمسِ أو خَرَقَ الحِجابـــا[1]

كناية عن موصوف وهما الليل والنهار وتعاقبهما، وهذه الكناية أفادت الليل والنهار أي دوماً.

قال:

لَبِسَت مُصَندَلَةَ الثِّيابِ فَمن رأى قمـــراً تَســـربَلَ بعـــدَها أثوابـــا[2]

كناية في قمر تسربل أثواباً كناية عن نسبة.

قال :

إلى مَعْقِلِ الجُودِ الذي جُعِلَتْ له صُدورُ العوالي والسيوفُ مَعاقِلا[3]

كناية عن معقل الجود كناية عن الكرم، والسيوف معاقلا في الشجاعة واستعداد الجيش.كناية عن نسبة

قال :

وإذا تتابَعتِ النَّوائـــبُ أحسَـــنوا وإذا تشـــاجَرتِ الرِّمـــاحُ أســـاؤا

كناية عن موصوف إذا تشاجرت الرماح وهي الحرب.

قال :

كـــلُّ زنجيَّـــةٍ كـــأن ســـوادَ ال لَيلِ أهدَى لها ســـوادَ الإهـــابِ[4]

كناية عن موصوف السفينة.

---

(1) الديوان، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص107.

(3) المصدر نفسة، ص362.

(4) المصدر السابق، ص46.

قال :

أبا تغلِبٌ صبراً وما زلتَ صابراً إذا زَلَّ حَزمٌ ثابتٌ أو هَفا لُــبٌ[1]

كناية أبا تغلب عن موصوف وهو يقصد الغضنفر بن ناصر الدولة، واللقب يرجع إلى قبيلة تغلب العربية.

قال :

وبِيضٍ إذا اهتزَّتْ ترقرَقَ ماؤُها وهُنَّ إلى ماءِ النُّفوسِ صَــوَادي[2]

كناية (وبيض) وهي السيوف، موصوف وكلمة اهتزت اعطت الصورة قوة.

قال :

إذا نَزَلَــــوا فأقمــــارٌ بليــــلٍ وإن ركبــــوا فآســــادٌ غِضــــابُ

كناية (أقمار) صفة عن الجمال (فآساد) كناية عن الرفعة والسؤدد والشجاعة.

إذن الكناية في شعر الشاعر الرفاء–أدت دورها إذ أعطت الصورة حيوية، وصبغة جمالية، وابرزت الصورة الشعرية لديه.

---

(1) الديوان ، ص61.

(2) المصدر نفسه، ص138.

المحسنات البديعية

قال عنها ابن المعتز ان هذا الفن من قديم وجد في القرآن الكريم والسنة وكلام الصحابة– وفي العصر العباسي أكتمل البديع كمذهب فني،ووصل إلي درجة لم يصل إليها فى العصور السابقة،وذلك بسبب التغير الذي طرأ على العصر(1)ويقول الجرجاني عن إنسان العصر (اختار الناس من الكلام ألينه أسهله واحتذوا بشعرهم في هذا ،وترفقوا ما أمكن وكسوا معانيه ألطف ماسنح من الألفاظ)(2) وقال عنها عبداللة الطيب أنها زينة حيث ان العرب تزين كلامها به لأن الزينه طبع فى البشر بدواً أوحضراً(3)

وأولاً الجناس:

الجناس: يقال : هذا يجانس هذا أي: يشاكله[4]

وهو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفا معنى بلا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركاتهما ويشمل ذلك نوع الحروف وعددها وهيئتها، ولا عبرة في حركة الحرف الأخير أو سكونه لأنه خاضع لمحل ئئوالجناس منه تام وناقص .

الجناس التام:

هو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفا معنى بلا تفاوت في التركيب.

الجناس الناقص:وهو أن يقع تجانس اللفظين في الحروف والحركات مع الاختلاف في عدد الحروف.

---

(1) إنظر البديع ، لإبن المعتز ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل ،بيروت ط1 ص 15.

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه ،القاضي الجرجاني ، ص18.

(3) المرشد إل فهم اشعار العرب ج4 ،ص667 .

(4) السان العرب ، ابن منظور ،مادة (جنس).

(5) الإيضاح ، القيزويني ، ج4 ،ص405 .

.

ومن أمثلة الجناس في شعر السَّري: قال :

يَعُدُّ حيـــاضَ غَمْرتهـــا عِـــذاباً إذا مـــا عـــدَّها قـــومٌ عَـــذابا[1]

(عِذابا – عَذابا) جناس ناقص.

قال :

فإن كانَ فيمن غَيَّبَ التُّرْبُ تِربُها فمريمُ من دونِ النساءِ لها تِـــربُ[2]

(الترب – تربتها) جناس ناقص (تربها – ترب) جناس تام.

قال :

كم مَعْرَكٍ عَرَكَ القَنـــا أبطالُـــه فسقاهُمُ في النَّقْـــعِ سُـــمّاً ناقِعـــا[3]

(النقع – ناقعا) جناس ناقص.

رمى اللهُ رِئبالَ القَريضِ بِرِئبال ومغتالَ ما حبَّرتُ منه بِمُغتـــالِ[4]

جناس تام رئبال الأولى الأسد الثانية الذئب

قال :

لم تَنْكَشِفْ عنها البَراقـــعُ لوعـــةً إلا وأَلبسَـــــها الحيـــــاءُ بَراقِعـــــا

كَتمَتْ سُجوفُ الرَّقْمِ ذائعَ حُسْنِها وأَعَدْنَ مكتومَ الصَّـــبابَةِ ذائِعـــا[5]

(ذائع – ذائعا) جناس تام:

قَبِلْتُ على الكُرهِ نَيـــلَ البخيـــلِ وقُلـــتُ قليـــلٌ أتَـــى مـــن قليـــلِ

تعجَّبـــتُ لمّـــا ابتـــدا بالجميـــلِ وما كانَ يعرِفُ فِعـــلَ الجَميـــلِ[6]

---

(1)الديوان ، ص،27.

(2) المصدر نفسه ،ص،60 .

(3) المصدر نفسه ،ص،275 .

(4) المصدر نفسه ،ص،384.

(5) المصدر نفسه ،ص،274 .

(6) المصدر السابق ، ص،389.

(قليل – قليل) (جميل – جميل) جناس تام.

قال :

ظعائنُ أشرقَتْ بالــدمعِ عينـــي وقد شَرِقَتْ بها تلــك الشِّــعابُ[1]

(أشرقَتْ ــ شَرِقَتْ) جناس ناقص.

قال :

وإذا مـــا اختلفَـــتْ أســـهُمُها فأَصـــابَتْ بَطَــلَ القــومِ بِطَــلْ[2]

(بطل – بطل) جناس ناقص (بطل شجاع: الطل أو المطر).

قال :

فسَلِمْتَ من نُوَبِ الزَّمانِ ولا غَدَا شانيك من معنى السَّليمِ سَــليما[3]

قال :

وأســـفرَ حَظِّـــيَ لمَّـــا رآ كَ بيني وبــينَ اللَّيــالي سَــفيرا[4]

جناس (أسفر– سفيرا) جناس ناقص.

ومن خلال هذه الأمثلة للجناس عند السري الرفاء أرى أن الرفاء قد ألم بأطراف هذا الفن فأعطى شعره نشوة وطرباً.

---

(1) الديوان ، ص28، شرقت: غصت.

(2) المصدر نفسه، ص377.

(3) المصدر نفسه، ص419.

(4) المصدر السابق ص 206

الطباق:

الطبق غطاء كل شيء وأطبق الشيء ماساواه وتطابق الشيئان ــ تساويا[1]:

الطباق (هو الجمع بين الشيء وضده من جزء واحد أو أجزاء الرسالة أو الخطبة أو من أبيات القصيدة، مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد)[2].

قال :

وظِـــلٌّ لا يُمازِجُـــه هَجيـــرٌ وشَـــمسٌ لا يُكـــدِّرُها ضَـــبابُ[3]

الطباق في (ظل وشمس)

وقال :

وإذا عَبسْـــتَ فصـــارِمٌ ومَنِيَّـــةٌ وإذا ابتسمْتَ فمَوعِـــدٌ وعَطـــاءُ[4]

(عبست – ابتسمت).

قال :

ويجعلُ بِشـــرَه يَـــذِرُ الأعـــادي فيبعَثُـــــه جَنوبـــاً أو شَـــمالا[5]

(جنوباً – شمالاً).

قال (من الرجز):

قد أغتدي والصُّبحُ فـــي إقدامِـــه واللَّيلُ قد أعـــرَضَ لانِهزامِـــه[6]

(الصبح – الليل).

---

(1) لسان العرب –ابن منظور، مادة طبق.

(2) الصناعتين –العسكرى –ص316.

(3) الديوان، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ص354.

(5) المصدر نفسه، ص430.

(6) المصدر السابق، ص418.

قال :

اللهُ جـــارُكَ ظاعِنـــاً ومُقيمـــا وضمينُ نَصرِكَ حادثاً وقَـــديما[1]

(حادثاً – قديماً).

المقابلة:

المقابلة (إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله من المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة)[2].

قال السرى:

وعادَ رأيُك لي سُـــوداً مشـــارِقُه وكنتُ أعهَـــدُه بيضـــاً مغاربُـــه[3]

المقابلة (سوداً مشارقه – بيضاً مغاربه). :

بَصـــــيرةُ ليـــــلٍ ولكنَّهـــــا ضـــــريرَتُه عنـــــدَ إصـــــباحِها[4]

بصيرة ــ ضريرة

(ب) حسن التعليل:

وهو أن يدعي الأديب وصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسن وطراوة، ويزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه الأديب جمالاً وإشراقاً[5].

قال –

وإذا بحار المكرمـــات تـــدفقت فجميعها تمتـــار مـــن أدنـــاءه[6]

---

(1) الديوان، ص 418.

(2) الصناعتين، العسكري، ص346.

(3) الديوان، ص51.

(4) المصدر نفسه، ص129.

(5) االبلاغة تطور وتاريخ–شوقى ضيف–دار المعارف–القاهرة–ص96

(6) الديوان، ص 302.

المبحث الثاني
الموسيقى الشعرية

يقول إنيس: (الموسيقى الشعرية هي الجرس اللفظي مع وجود انسجام في توالي المقاطع)[1].

ويقول أيضاً[*] أن (الشعر ليس إلا كلاماً موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب[2] .

وقال شوقي ضيف: (لا يوجد شعر دون موسيقى ينجلي فيها جوهر وجوهه الزاخر بالنغم، تؤثر في أعصاب السامعين، ومشاعرهم، ومن قديم يتغنى الشعراء بأشعارهم، وكأنهم يريدون أن يستكملوا بالغناء نقص التعبير الموسيقي في أشعار الموسيقى لب الشعر وعماده التي لا تقوم له قائمة بدونه)[3].

وتنقسم الموسيقى إلى:

1/ الموسيقي الخارجية:

ويقول صاحب عيار الشعر أنها الكلام الموزون المقفى (لذلك يقال إن الشعر الموزون إيقاع يطرب)[4].

والوزن والقافية هما ركنا الموسيقى الخارجية.

الوزن والقافية أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية[1].

---

(1) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 1965م، ص8 وما بعدها.

(*) إبراهيم أنيس، ولد بالقاهرة، الباحث اللغوي المجمعي، ولد سنة 1324هـ ــ 1906م، والتحق بدار العلوم العليا وتخرج منها حاصلاً على الدبلوم العالي في سنة 1930م، وعمل مدرساً في المدارس الثانوية، وفي جامعة لندن حصل على البكالاريوس ثم الدكتوراه في سنة 1941م، توفى 1398هـ ــ 1978م، من كتبه الأصوات اللغوية، موسيقى الشعر، دلالة الألفاظ، من أسرار العربية، في اللهجات العربية، انظر: ترجمته في تتمية الإعلام ــ 1415هـ، 1976م ــ محمد خير رمضان يوسف، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت: 1422هـ ــ 2002م، ج1، ص 11.

(2) موسيقى الشعر، ص 10.

(3) فصول في الشعر ونقده، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1965م، ص8 وما بعدها.

(4) معيار الشعر: محمد بن طباطبا، تحقيق :عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م.

2/ الموسيقي الداخلية:

وهي الناشئة من تلاؤم الحروف والحركات وتعلقها بالألفاظ وتجانسها[2].

ومن خلال دراسة ديوان الرفاء نبحر فيه لنرى البحور التي نظم عليها الأوزان.

مسلسل	البحر	عدد القصائد والمقطوعات
1	الطويل	86
2	الكامل	78
3	البسيط	54
4	الوافر	45
5	الرجز	41
6	المتقارب	31
7	المنسرح	28
8	السريع	26
9	الخفيف	26
10	الهزج	6
11	الرمل	4

وبناء على ما تقدم في هذا المجال يمكن القول: إن بحر الطويل أكثر البحور التي نسج عليها الرفاء قصائده ومقطوعاته، وبالنسبة لأغراض التي تناولها السري في ديوانه؛ فالوصف والمدح أكثر الأغراض فبحر الطويل ضرب منة للوصف أكثر من المدح في ديوانه.

وقال عنه صاحب موسيقي الشعر.

---

(1) العمدة، 141/1.

وقال العقاد(الفن الكامل هو الذي توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض التي تعرف بأوزانها وأسمائها). اللغة الشاعرة، العقاد.

(2) انظر في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص97.

والطويل يقال عنه (ليس من بين البحور ما يضارع بحر الطويل في نسبه وشيوعه).

والبحر الثاني ترتيباً في ديوان الرفاء (الكامل)، أكثر قصائده في المدح جاءت من الكامل، ثم الوصف، ومن بعدها الأغراض الأخرى، ويقال عنه سمى كامل لتكامل حركاته[1].

أما بحر البسيط فقد نسج منة قصائده في المدح أكثر من الوصف.

والوافر نسج عليه كثير من المدح. أما الوصف فكان قليله قصائده .

أما الرجز فإن الوصف في ديوانه قد شاع فى هذا البحر أي أن مقطوعات وقصائد الوصف معظمها جاءت على بحر الرجز.

المتقارب: جاءت مقطوعات الوصف فيه أكثر من المدح مع وجوده في الأغراض الأخرى.

المنسرح : ورد منه في الوصف أكثر من الأغراض الأخرى

وصاحب المرشد يقول عن بحر بسيط منساب، طبلي موسيقي، يصلح لكل ما فيه تعداد للصفات، وتلذذ بجرس الألفاظ، وأشار إلى أن تجويد الصناعة فيه فللسري مقطوعاته الوصفية، وكذلك قصائد مدح فإن جاء قياساً على حديث صاحب المرشد فإن الرفاء أجاد إلى حد ما في صنعه. والكامل يقول عبد الله الطيب فيه هو بحر أكثر البحور جلبة وحركة، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله أن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر الترنم الظاهر[2].

---

(1) الوافي في العروض والقوافي، التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق،ط4 ،1986م، ص 78.

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، 303/1.

ويقول عن البسيط كذلك من أعظم البحور أبهة وجلالة وإليه يعمد أصحاب الرصانة. انظر المصدر السابق، ص 3 –2 . وطالما عمد إليه السري فهو من أهل الرصانة.

وكذلك السريع والخفيف والهزج والرمل صاغ عليها الشاعر ونظم عليهن في أغراض شعره، إذن السري نظم درر شعره على إحد عشر بحراً.

القافية:

ويقول الخليل بن أحمد هي (آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع الحرف الذي قبل الساكن)[1].

والقافية كما ذكرت آنفاً هي الشق الثاني المكون للموسيقي قيل: (القافية شريكه الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الشعر شعراً، حتى يكون له وزن وقافية)[2].

وللقافية أقسام بحسب شيوعها هي ذلل ونفر وحوش([3]):

والقوافي الذلل: هي الباء الدال والراء العين والميم والياء.

قال :

وطيفِ حبيبٍ خافَ طيفَ رقيبِه فــزارَ وســارَ خائفــاً مترقِّبــا[4]

التاء وقال: منها ستة من قصيدة ومقطوعة:

قال :

وأقبــلَ اللّيــلُ علــى ميقــاتِ ونشــر الغــرْبُ المُمسَّــكاتِ[5]

الدال: منها قال :

أميرَ النَّــدى إنَّ الثَّنــاءِ خلُــودُ وإنَّ القَوافي السَّــائراتِ جُنــودُ[6]

---

(1)العمدة، ج1/151.

(2) المصدر نفسه.

(3) المرشد ، عبد الله الطيب ج1/57.

(4)الديوان ، ص41.

(5)المصدر نفسه، ص109.

(6) المصدر السابق، ص164.

الراء ومنها:

إنَّ السَّماحَةَ أخلاقٌ عُرِفْتَ بهـا والمَكرُماتُ حَديثٌ عنكَ مَسـطورُ[1]

العين: قال:

كأسُـكَ قـد فُرِّقَـتْ مَفاصِـلُه بـين النَّـدامى فلـيسَ تَجتَمِـعُ[2]

الميم: قال:

فـاطَّرَدَ المـاءُ علـى أرجائِـه ونارُه مـن كـلِّ أفـقٍ تَضـطَرِمُ

وحلَّـت الـرِّيحُ نِطـاقَ مُزْنِـه فعادَ منه البَـرُّ بحـراً مُلـتَطِمُ[3]

الياء قال :

قَصَدْتُك لـم أُرِد رِفـداً وأنَّـى يَرومُ من الصَّفا العطشانُ رَيَّا[4]

القوافي النفر:

الزاي، الصاد، الضاد، الطاء، الهاء، الواو، الزاى وصاغ عليها جميعاً

الزاي صاغ فيها ثلاث مقطوعات:

كيفَ يَخشى المِلحيُّ رِقَّةَ حـالٍ بعـدَ أن فـازَ مـن قَفـاه بِكَنْـزِ

ولـهُ غُرفَـةٌ يُؤلِّـفُ فيهـا بين تَيْسٍ من الرِّجـالِ وعَنْـزِ[5]

الصاد: نظم منها قصيدتين قال :

وعابَ إبريزَ الخلاصِ الخـالصِ وشاهدي بالفضلِ عيبُ النّاقصِ[6]

الضاد: صاغ ستة قال:

---

(1) المصدر السابق، ص176.

(2) المصدر السابق ، ص280.

(3) المصدر نفسه، ص425.

(4) المصدر السابق، ص471.

(5) المصدر السابق، ص255 – المرشد، 58/1.

(6)المصدر السابق، ص266.

بعَثْتُ لها جِسماً لِحــاظُ عُيونِــه إذا أَعرَضَتْ حَتْفٌ لهنَّ تَعرَّضــا[1]

الطاء:

ورَكْــــبٍ أَممَّـــوا قَحطـــا نَ واللَّيـــلُ بِهِـــمْ يَســـطُو

فحطُّـــوا رَحلَهـــم منـــه بـــوادي الجَـــدْبِ إذ حَطُّـــوا[2]

الهاء: قال:

قال يصف الموصل:

تُعانِقُ رِيحُهــا لِمَــمَ الخُزامــى وأعناقَ القَرَنْفُــلِ فــي سُــراها[3]

الواو: جاءت في الديوان قصيدة واحدة –

محوتَ صَــحائِفَ اللَّــذَّاتِ لمَّــا مَحوتَ بها سطورَ الــزَّفْنِ مَحــوا

فأضــمرَ نَايُــكَ الحنَّــانُ هَمّــاً وأعلنَ صَنجُك الصَّيَّاح شَــكوى[4]

ثالثاً: الحوشي: وهى الثاء – الخاء – الذال– الشين– الظاء– الغين.

الثاء: لم يصغ عليها وهى من الحوش.

الخاء: صاغ منها واحدة.

قال:

أنخْــتُ فــي حانــةِ أُترُجَّــةٍ وحبّــذا حانتُهــا مــن مُنَــاخْ[5]

الذال: كذلك صاغ عليها واحدة:

قال:

شيخٌ لنــا مــن شــيوخِ بَغــدادِ أغــذَّ فــي اللَّهــوِ أيَّ إغــذاذِ[1]

---

(1) المصدر السابق ، ص268.

(2) الديوان ، ص273.

(3) المصدر نفسه، ص464.

(4) المصدر السابق، ص467، الزفن: الرقص.

(5)المصدر السابق، ص130، مناخ: مبرك الإبل.

الشين: لم يوليها اهتمام غير موجودة في ديوانه.

الظاء: وهي كذلك كالشين والثاء وكذلك الغين.

القوافي الحوشي إذن صاغ على الخاء، الذال وأهمل البقية.

الروي:

هو جزء لا يتجزأ من القافية يتكرر في نهاية أبيات القصيدة وعليه تبنى القصيدة وإليه تنسب[2].

1- مطلقة: وهي التي يكون الروي فيها متحركاً.

2- مقيدة: وهي التي يكون الروي فيها ساكن.

أكثر القوافي مطلقة وقليل من المقيدة.

إن الشاعر قد حافظ على الأوزان والقوافي كما هو معروف في الشعر العربي، وبذلك حافظ على موسيقى شعره فجاء شعره مستقيم الوزن عذبة موسيقاه.

---

(1) المصدر السابق، ص174.

(2) القافية في العروض والأدب، حسين نصار، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص40.

المبحث الثالث
بناء القصيدة

البناء الفني يراد به بناء الشعر، وطريقة تركيبه، قال ابن سلام: (الشعر محتاج إلى البناء والعروض والقوافي)[1].

فبناء القصيدة هو منهجها وكيفية التي ترتب بها عناصرها.

وفي العصر العباسي الذي يعتبر محور التغيير، وخاصة في الشعر فقد أحدث تغيير في الاستهلال، والخاتمة، والأسلوب وغيرها مع هذا التغيير هناك من ينادي بالمحافظة على القديم[2].

وأشار عز الدين إسماعيل إلى أهم تغيير يراه وهو ظهور تيار القصيدة المحكمة البناء ،ويقول كل قصيدة ذات مقدمة قد تطول وقد تقصر ومدخل ينزلق منة الشاعر إلى موضوعة الرئيسي ثم خاتمة

ويشمل بناء القصيدة على المطلع، وحسن التخلص ثم خاتمة القصيدة.

أولاً: مطلع القصيدة:

اهتم النقاد بمطلع القصيدة، وتحسين بدايتها، فهي مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ما يبتدئ به ليجذب السامع، ويقول ابن رشيق (بأنه أول ما يقرع السمع فيه يستدل على ما عنده من أول وهلة).

فإذا كان الاستهلال سيئاً حط من مكانة الشاعر ولم يجد من ينتبه أو يسمع له [3].

---

(1) طبقات فحول الشعراء، محمد سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القـــاهر، 1974م، 56/1.

(2) الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، ص409 وما بعدها.

(3) العمدة، 217/1.

والنقاد عندما أشادوا بحسن الابتداء لامرئ القيس في مشهورته قالوا: إنه بكى واستبكى، ووقف واستوقف منذ البداية فكان الاستهلال جيداً.

ماذا عن استهلال السري ومطالعه؟

الرفاء في مطالعه قلد القدماء ومشى على نهجهم ببدايات غزلية وغيرها، ونهج الجديد كطريق من سبقوه واستهلاله بالخمر أو الدخول مباشرة إلى مرمى قصيده:

قال يمدح، واستهلها بذكر الغزل قائلاً :

يَغُضُّ الطَّرْفَ عن وَرْدِ الخُـــدودِ ويُعْرِضُ عـــن مُهَفْهَفَـــةِ القُـــدودِ
مُقِـــرٌّ للعَـــواذِلِ بالتَّصـــابي مُقـــيمٌ للوُشـــاةِ علـــى الجُحـــودِ
أَفادَ به الهُـــوى شَـــوْقاً طَريفـــاً يُضَـــرِّمُ لوعـــةَ الشَّـــوقِ التَّليـــدِ
ومن جَوْرِ الهَوى أن راحَ يُزْجي مَطايا البَيْنِ في أَثَـــرِ الصُّـــدودِ[1]

وكثيرة من قصائد المدح، مطلعها غزلي، ولكن تجدر الإشارة إلى أن قصائده التي عبر فيها عن وقائع سيف الدولة ضد الروم معظمها وأكثرها يبدأ بالموضوع مباشرة .

قال يهجو علي بن العصب الملحى

أَرْبُعَـــاءٌ حُســـامُه مشـــهورُ حـــين يـــأتي وشـــرُّه مَحـــذورُ
نتوقّـــاه أولَ الشَّـــهرِ إن دا رَ ونخشـــاه أخـــراً لا يـــدورُ
فَاغْدُ سِرّاً بنا إلى قَفَـــصِ المـــلْ حيِّ فالعيشُ فيـــه غَـــضٌّ نَضـــيرُ
نتوارى مـــن الحـــوادثِ والـــده رُ خبيـــرٌ بمَـــنْ تـــوارَى بَصـــيرُ
مَنزِلٌ فـــي فِنـــاء دِجلـــةَ يرتـــا حُ إليـــه الخليـــعُ والمَســـتورُ[2]

(1) الديوان، ص151.

(2) المصدر نفسه، ص204.

وفي شكواه ضد أعدائه أو الزمن تشعر ببداياته تحكي ما يولج في صدره، قال يتظلم من الخالدين:

هَلِ الصَّبرُ مُجْدٍ حينَ أدَّرِعُ الصَّبْرا وهل ناصرٌ للشِّعْرِ يُوسِعُه نَصْرا
تَحَيَّفَ شِعْري يا ابنَ فهدٍ مُصالِتٌ ظلومٌ فقد أُعدِمْتُ منه وقد أَثرَى[1]

والوصف معظمه في المقطوعات وكذلك الأخوانيات والخمر وما يتعلق بها هذه المقطوعات عددها في الديوان مائة وأربع وستون مقطوعة، وقال عبد الله الطيب مفسراً وميل الشعراء إلى المقطوعات يعود إلى مزايا أهمها (أوقع بالقلوب، وأسرع في الحفظ وأعلق بالألسن وأجمع للمعاني[2].

ثانياً: التخلص وحسن الخروج:

حسن التخلص هو: (أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلق بممدوحه يتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقا، دقيق المعنى إلى معنى لا شعر السامع بالانتقال من المعنى الأول وقد وقع في الثاني لشدة الممازحة والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا من قالب واحد)[3].

وعند دراسة شعر السَّريّ وقفنا على هذه الظاهرة الشعرية فهو قد وفق في ربط بين المقدمات ثم الولوج إلى الموضوع بطريقة سهلة مميزة.

ففي قصيدة يمدح فيها مطلعها غزلي تحدث عن البرق والحيا قال :

تهيَّبه وِردُ الرَّدى لو تهيَّبا ربائبَ في الأظعانِ يُحسَبْنَ رَبرَبا
مَلَكْنَ بتقليبِ النَّواظرِ قلبَه فقد أَمِنَتْ في الحبِّ أن يتقلَّبا[4]

---

(1) الديوان، ص210.

(2) المرشد ،عبدالله الطيب.

(3) مناهج البلغاء، حازم القرطاجيني، تحقيق محمد الحبيب ،دار المغرب الاسلامي بيروت 1986م ص319

(4) الديوان ص 41

إلى قوله:

فباتَ كأنَّ الريحَ في جَنَباتِ تهُزُّ صفيحاً منــه بــالتِّبرِ مُــذهَبا
وساجَلَ معروفَ الوزيرِ ومَنْ له بعُرْفٍ يعُمُّ الأرضَ شَــرْقاً ومغرِبــا

وقال يمدح بقصيدة مطلعها غزلي:

هذه الشــمسُ أوشــكتْ أن تغيبــا فـــــأقِلاَّ المَـــــلامَ والتَّأنيبـــــا
أوجَبَتْ لوعةُ الفِراقِ على الصَّــبْ بِ جَــوىً يَقــرَحُ الفــؤادَ وَجيبــا

وهذه المقدمة تحدث فيها الشاعر عن الفراق والرقيب الحي.

إلى قوله:

قد قطعْنَ الــبلادَ شَــرقاً وغَربــاً وبَلَوْنــا الــوَرى فُتــوّاً وشِــيبا
ونَزَلْنــا بكــلِّ مُجتَــدِبِ المــن زِلِ نَرْعــى لديــه رَبعــاً جَــديبا
قَــرُبَ الوعــدُ والنَّــوالُ بعيــدٌ فـــأراني النَّـــوى بعيـــداً

ثم الولوج إلى الممدوح:

فــدَعَوْنا أبــا الفــوارسِ للجُــو دِ فكــان القريــبَ فيــه المُجيبــا
وهَزَزْنــاه للمكــارمِ فــاهْتَزْ زَ كمــا هَــزَّتِ الرِّيــاحُ القَضــيبا
فرأَينــا مُهــذَّبَ الفِعْــلِ يُكسَــى حُلَــلَ المَــدْحِ هُــذِّبَت تَهــذيبا[1]

وقال يمدح الأمير سيف الدولة :

أَمِــنَ المُدامَــةِ تَنْثَنــي سُــكْرا أَم قــد سَــقَتْك جُفونُهــا خَمــرا
نثرَتْ فَريــدَ الــدَّمْعِ حــينَ رَأَتْ صَــبّاً يُقــادُ إلــى الــرَّدى نَثــرا
إنَّ الــوَداعَ وإن سَــعِدْتُ بِــه لَيَزيــدُ كــامنَ لــوعتي حَــرَّا
لمَّــا رَأَتْ للبَــيْنِ رائِعَــةً تَطْوي الوِصــالَ وتَنشُــرُ الهَجْــرا
ضاقَتْ بأدمُعِهــا الجفــونُ كَمــا ضــاقَ المــودِّعُ بــالهَوى صَــدْرا

(1) الديوان، ص52.

وإذا رَأَيْـــتَ نـــوالَهم ثَمَـــداً فـــالحظُّ بـــينَ طِلابِـــكَ البَحـــرا
أكفُفْ يَـدَيْك عَـنِ اللِّئـامِ ولـو أضحَتْ يَداكَ من الغِنـى صِـفْرا[1]

ثم ينزلق إلى الممدوح قائلاً:

وإلـى الأميـرِ سَـريْتُ مُرتَـدياً بعزيمَـةٍ تَـدَعُ الـدُّجى فَجْـرا

وحسن التخلص كثير في الديوان اكتفي بهذه الأمثلة.

(1) الديوان ، ص211.

الخاتمة:

يقول ابن رشيق عنها (الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا زيادة عليه، ولا يأتي بعده بأحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه)[1].

قال الرفاء يمدح ممدوحه ويصف ليلة شرب فيها على بركة، وهو يحكي عن ليلها المضيء بسبب الشموع التي أضاءت الموضع ويصف ما فيها من حسن وجمال.

قائلاً في مطلعها:

أحوالُ مجدِكَ في العُلُوِّ سَواءُ ... يومٌ أَغَرُّ وشيمَةٌ غَرَّاءُ

أصبحتَ أعلى الناس قِمَّةَ سُؤدُدٍ ... والناسُ بعدَكَ كلُّهم أكفَاءُ

فجاءت الخاتمة محكمة.

قائلاً:

يا سيِّدَ الوزراءِ نِلْتَ من العُلى ... والمجدِ ما يَعيا به الوزراءُ

هي ليلةٌ لا زِلْتَ تَلبَسُ مثلَها ... في نِعمَةٍ وُصِلَتْ بها السَّرَّاءُ

أغنيتَ قوماً حينَ هَزَّ غناؤُها ... عِطْفَيْكَ رُبَّ غِنىً حَداه غِناءُ

وقطعتَها والليلُ يصدعُ قلبَه ... ضدانِ نارٌ تستنيرُ وماءُ

نَعَمَ البريَّةُ في بَقائِكَ فلتَدُمْ ... لهُمُ بطولِ بقائِك النَّعماءُ[2]

---

(1) العمدة، 243/1.

(2) الديوان، ص16-17.

وقال يمدحه بمقدمة غزلية، ومن ذلك يتحدث عن ممدوحه وبطولاته ثم يختمها قائلاً :

تخيَّرَ المجدُ أعلى نسبةٍ فغَدا إلى عليٍّ بنِ عبد الله يَنتسِبُ
ثلاثةٌ منه تجلو كلَّ داجيةٍ جبينُه وغِرارُ السَّيفِ والحَسَبُ[1]

وقال يمدح ويعتذر من خروجه حلب من غير إذن الأمير بمقدمة غزلية، ثم يحكي ما حدث بينه وبين الوشاة والحساد.

وقال في الختام يرجو أن يعود له مورده وصفاؤه ويزيل ما غرس الحساد.

قائلاً:

فعسى الزَّمانُ يَبُلُّ حَرَّ جوانحي بصَفاءِ مَورِدِه وبَردِ حَبَابِه
فأفوزَ بالعَذْبِ النَّميرِ وينطوي كَشْحُ الحسودِ على أليمِ عَذابِه

وختمها بالدعاءومعظم قصائده المدحية الطويلة يختمها يذكر بألفاظه وشعره المنظوم فيهم، وكأنها تذكره لهم، فالأمر واضح هذا المدح أغلبه من أجل التكسب. أما مقطوعاته فجاءت محكمة المطلع والخاتمة.

وخلاصة القول كان السَّرىّ يفتتح بمقدمات غزلية أو غيرها وأحياناً يبدأ بالموضوع مباشرة، وإن صح القول إن مقدماته تمتاز بالجودة وهذا ينطبق على سائر شعره.اذن التزم نهج القدماء

(1) الديوان، ص33.

وحدة القصيدة:

هي وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، ويجب أن تكون مرتبة الصور والأفكار، وأن تتكون فيها أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر[1].

واختلفت الآراء حول موضوع الوحدة العضوية في الشعر العربي القديم بين مؤيد لوجودها، وبين فكرة تقول إن العرب قديماً لم تكن لديهم، والأديب طه حسين من الذين أقروا بوجودها في الشعر العربي القديم[2].

وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن السري الرفاء قد استوفى شعره وحدة موضوعية، وتضرب مثلاً بقصيدته التي قال فيها.

فتوحُك رَدَّتْ بَهجةَ المُلكِ سَرمَدَا ... وأنتَ حُسامُ اللهِ فَلَّ بِكَ العِدا

يُحدِّثُ عنكَ المَشرَفيُّ مجرَّداً ... ويُثني عليك السَّمهريُّ مُسَدَّدا

أعادَ وأبدى الفتحُ منك مُعوَّداً ... قِراعَ العِدا جارٍ على ما تعوَّدا

ومُمطرُ أرضِ الرُّومِ من دَمِ أهلِها ... سَحاباً إذا رَوَّى الثَّرى منه أحمَدَا

تخالفَ فعلُ الغَيثِ منه فكلَّما ... بَدا العُودُ مُخْضرّاً ثناه مُورَدَّا

سَرى مُخلِقاً في اللهِ دِيباجَ وجهِه ... فذبَّ عن الإسلامِ حتى تجدَّدا

يُفلِّقُ بالضَّربِ التَّريكَ وما حَوى ... ويَخرُقُ بالطَّعْنِ الدَّلاصَ المُسرَّدا

فيا لكَ من يومٍ أحرَّ عليهِمُ ... وأندَى على الدِّينِ الحنيفِ وأبرَدا

---

(1) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي، دار النهضة المصرية، 1996م، ط3، /204 ص373.

(2) انظر حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، بمصر، 1952م، 31/1، وكذلك الجاحظ عندما أورد القصة المشهورة في الشعر العربي القديم لعمر بن لجأ فقال يفتخر بشعره لأحدهم : أنا أشعر منك لأنى اقول البيت وأخاه، وانت تقول البيت وابن عمه. البيان والتبيين، الجاحظ، ص206.

وربَّ مُحلًّى بالكواكبِ شـــاخصٍ شخَصْتَ إليـــه فـــانمحى وتأبَّـــدا
فأعطاك ما تَهوى وقَلَّـــدَ أمـــرَه نجومَ قَنَـــاً أضـــحى بهـــنَّ مُقلَّـــدا

وهنا حديثه عن البطل سداد الثغور سيف الدولة وانتصاراته في الحروب ضد الروم ذاكراً الجيش والاستعداد ودلاصها، عن الخيول التي أرهجت بغبارها تلك الأراضي ووصفه قواد الروم وخوفهم من الجحافل التي سدت عليهم الأرض كان هذا نصر للإسلام والشاعر عبر عن هذا في كثير من قصائده التي ذكرها فيها وقائع الأمير ضد الروم. وقد صورها تصوير رائع وألبسها صور بيانية جميلة في أسلوب شائق وفني وكأن القارئ لهذه القصيدة كأنه أمام ساحة المعركة وهو وصف ونقل جيد.

ويواصل حديثه عن السيف – النقع – قواد الروم إلى قوله:

وأوردْتَ حَدَّ السَّـــيفِ قِمَّـــةَ لاوُنٍ لتمزُجَ فيه سُورةَ البـــأسِ بالنَّـــدى[1]
أتاكَ يَهُزُّ الرَّوعُ أعضـــاءَ جِســـمهِ كما هزَّ بـــالأمسِ الحُســـامَ المُهنَّـــدا
يَغُضُّ لدَيكَ الرُّعْبُ أجفـــانَ عَيْنِـــه فإنْ هَمَّ أن يستغرِقَ اللَّحْـــظَ أرعـــدَا
وربَّ حديدِ اللَّفظِ واللَّحـــظِ مـــنهمُ مثَلْتَ لـــه فارتـــدَّ أخـــرسَ أرمَـــدا
ذَعَرْتَهُمُ غَزواً دِراكـــاً فأصـــبحوا على البُعْدِ خَفَّـــاقَ الحشـــا ومُســـهَّدا
يَظُنُّونَ غَربـــيَّ الســـحابِ كتيبـــةً تُشَرِّقُ والبـــرقَ الشـــآميَّ مِطْـــرَدا
إذا الدولةُ الغَرَّاءُ ســـمَّتْكَ ســـيفَها لتُبْهَجَ سمَّاكَ الهُدى ناصـــرَ الهُـــدى
ليَهْنِـــكَ أنَّ الـــرومَ ذَلَّ عزيزُهـــا فصـــارتْ مواليهـــا بِعـــزِّكَ أعبُـــدا
إذا قيلَ سيفُ الدولةِ اهتزَّ عرشُـــها وخَرَّتْ رُكوعاً عنـــدَ ذاكَ وسُـــجَّدا

فالقصيدة أخذت موضوعاً واحداً، وفيها تحدث عن حرب ضد الروم وذاك النصر العربي المشهور بيد سيف الدولة حامي الثغور.

(1) الديوان، ص136، لاون قائد من قواد الروم.

المبحث الرابع
اللغة والأسلوب

اللغة:

هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1]. ويقول ابن جني: (اللغة عبارة عن أصوات ورموز يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[2].

وللغة ارتباط وثيق بالشعر حيث إن أفكار الشاعر وما يدور في نفسه من عاطفة وانفعال لا يصل إلينا إلا عبر اللغة.

ويقول الجاحظ (إن المعاني في صدور الناس: مستورة خفية، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطة، إنما يحيي هذه المعاني ذكرهم لها)[3].

إذن لغة الشعر هي أداة الشاعر في التعبير يقال (إذا كان العمل الأدبي بعامة يتوقف على الدقة والصياغة فإن أولى مميزات الشعر هي استثماره خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه[4]. ويقول ابن قتيبة عن دورها (إن الشعر الجيد ما حسن لفظه، وجاد معناه)[5].

ومن خلال هذه المعاني، فلغة السري تتميز بالرقة والجزالة، والعذوبة، فحديثه عن الغزل مثلاً : يضعه في قالب ويختار ألفاظاً لها وقع في أذن السامع مثل: القوام، واللحظ الفاتر، والخد الأسيل، وتلك المحاسن التي يسبغنها الشعراء لهذا الغرض.

---

(1) لسان العرب: ابن منظور، مادة (لغ).

(2) الخصائص:ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط2، ج1، ص33.

(3) البيان والتبيين: الجاحظ، 75/1.

(4) النقد الأدبي: محمد غنيمي، ص386.

(5) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1966م، ج1، ص 64.

قال:

يُريكَ قوامَها الغصنُ الرطيـــبُ ولحظَ جفونِهـــا الرشـــأُ الربيـــبُ
غَـــداةَ بَـــدا لهـــا خـــدٌّ أســـيلٌ يُنَمـــنِمُ وشـــيَه كـــفٌّ خَضـــيبُ[1]

وصف القوام اختاره له الرطيب لما يحويه اللفظ من جمال وشبه الجفون بالرشا، وأي رشا ربيب وكله حيويه أعطت المعنى عاطفة أخرى وزادت المعنى جمالاً.

كذلك وصفه للفراق المحب، فحديثه عنه واختياره مثل: تضرمت، حشاؤه، المشوق، زفرات.

قال :

مَنْ لي برَدِّ ســـوالفِ الأحقـــابِ ومآربٍ أعيَـــتْ علـــى الطُـــلاَّبِ
أتبعْتُها نَفَسَ المحـــبِّ تضـــرَّمَتْ أحشـــــاؤُه لتَفـــــرُّقِ الأحبـــــابِ
أتبعْتُها نَظَرَ المَشُـــوقِ تجمَّعـــتْ زَفَراتُـــــه لتَفـــــرُّقِ الأتـــــرابِ[2]

وهذه الكلمات وضحت حال ذاك المحبوب، ولوعة الفراق وترديد لفظة (اتبعتها) مرة أخرى تأكيداً، وكذلك التشديد في (تضرمت، تفرق).

والخمـــر ومجالسها فشـــبهها بالياقوتـــة، وجمالهـــا، قائلاً في وصفـــها:

حمـــــراءَ كاليـــــاقوتِ صـــــافيةً ومعظِّـــــمُ اليـــــاقوتِ أحمـــــرُه
فهي التـــي عَصَـــرَتْ لقَاطِفِهـــا عُنقودَهـــا مـــن قبـــلُ يَعْصِـــرُه
فـــي كأسِـــه كســـرى يقابِلُـــه من خَلْفِ سِترِ الـــرَّاحِ قَيصَـــرُه[3]

(1) الديوان، ص44.
(2) المصدر نفسه، ص88.
(3) المصدر السابق، ص213.

وقال:

لنا قَهوَةٌ في الدَّنِّ تمَّتْ شـــهورُها فرقَّتْ حَواشيها وأشـــرقَ نُورُهـــا

يُحيِّيكَ بالمِسكِ الـــذَّكيِّ دُنُّوهـــا ويلقاكَ بالبِشْرِ الجميلِ بَشـــيرُها[1]

فقد اختار لها (الخمر) وسمها بالقهوة، وذكر الدن وعطرها بالمسك الذكي، فهي ألفاظ وإشراق نورها، فكلها ألفاظ تدعو إلى راحة شاربيها حسب فلسفتهم فيها.

ونجد أن ألفاظه تأثرت بما أظل العصر (العباسي) من ألفاظ فارسية مثل لينوفر، آذريون، ولكن الألفاظ الفارسية ليست بالكثيرة في الديوان:

قال :

حبيـــــبٌ حبـــــاكَ بلينـــــوفرٍ فـــــأكرمْ بـــــه وبإهدائـــــه[2]

وقال :

فمَنْ كانَ أضحَى للمَكارِمِ صاحباً فأَنتَ لها يا ابْنَ الحُسَـــينِ شَـــقيقُ

طَرَقتُكَ مُمتاحاً ولـــيسَ لِطَـــارِقٍ يَرومُكَ من وَقْعِ الضَّريبِ طَريقُ[3]

أشير إلى أن هناك في الديوان ألفاظاً غريبة مثل (موشى – وشاطح) أسماء قبيلة أم أناس لم نعثر على تعريف لها.

يمكن القول إن الرفاء وُفِّق في اختيار ألفاظه لما يناسب لون العصر ذا الفخامة، وطوعَّ ألفاظه لتؤدي الغرض الذي أراد توصيله.

---

(1) الديوان، ص232–233.

(2) المصدر نفسه، ص24.

(3) المصدر السابق، ص335– الضريب: الثلج.

الأسلوب:

والأسلوب هو الفن الذي يتخذه الأديب للإقناع والتأثير[1] ويقول عبد القاهر الجرجاني عنه هو: (الضرب من النظم)[2] فالأسلوب طريقة الشاعر في كتابته وهو عالم خاص به، وهو يمثل السمة الشخصية له، ومن منطلق هذه المعاني كذلك من خلال دراسة ديوان الرفاء فهو شاعر دقيق الإحساس، جيد الوصف، أسلوبه سهل، ألفاظه جزلة. وجاء الحديث فيما سبق من وصفوا شعره بهذه الصفات، والحديث عن أسلوبه كغيره من شعراء العصر العباسي طبع عليه العصر رونقه الجديد، وحمل أسلوبه أنواعاً وأشكالاً من البديع واستمد من الماضي التليد والجديد المشاع، فأخرج شعره باقة ورد.

أولاً وقفت على التكرار وما به من حلاوة، وتقوية للمعنى، كما أشار إلى ذلك المرشد[3].

قال الشاعر :

ألمَّ وثوبُ الدُّجى مُخلِقٌ	وثوبُ الصبَّاحِ جديدُ الضِّياءِ
يُضيءُ لنا الخَيْفَ إيماضُه	وليس ببرقٍ خفى من خَفاءِ
وفاءٌ تصرَّمَ عن يَقْظَةٍ	وكم يقظةٍ عصَفَتْ بالوفاءِ
تولَّتْ عهودُك محمودةً	بقُرْبِ الوِصالِ وبُعدِ الجَفاءِ
وأبقَت أسىً ليس يَقضي الأُسى	عليه وداءٌ بعيدُ الدَّواءِ[4]

(1) الأسلوب، أحمد الشايب، دراسة نقدية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م، ص45.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص469.

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، ج89/2 وما بعدها. .

(4) الديوان، ص13.

فتكرار الكلمات : الصدر، والعجز قوي المعنى، وأدى إلى جرس موسيقي منتظم.

وقال:

طوَى الدَّهْرُ الجديدَ من التَّصابي وليسَ لِمَا طوى الدَّهرُ انتشـــارُ[1]

قال :

فاشرَبْ على الوَرْدِ قبلَ فُرقَتِـــه فالوردُ من شأنِ سَـــيْرِهِ العَجَـــلُ[2]

قال: في مقاربة للكلمات وإطلاق حرف معين:

وأَعيُنٍ تـــأنفُ مـــن إغضـــائِها صـــافيةِ الأجفـــانِ مـــن أَقـــذائِها

تُردي بناتِ الغُدْرِ فـــي أثنائِهـــا يَحمِلُهـــا طَـــبٌّ بحَســـمِ دائِهـــا

مجدِّدٌ مـــا رثَّ مـــن أعضـــائِها يجذبها والرِّزقُ فـــي أحشـــائِها[3]

فقوله أعضاء وأقذاء، أعضائها، وأحشائها مع وجود الهاء أعطى نغماً رناناً؛ وأدى إلى تقسيم موسيقي عذب، وهذا دأبه في كثير من شعره، و لعل استخدامه للتكرار جاء مناسباُ، فكثيرين يـــرون أن كـــثرة الإســـراف فى التكـــرار غـــير محبب.

وهناك طريقة اتخذها لمدح الأمراء والوزراء تليق بمكانتهم فاختياره لهم صفات الشجاعة والكرم، الأصل الكريم وما معروف لدى العرب، يختار لهم (أسود، شهاب، ويدعو لهم بالحياء، والبرق) وأن كان هذا المدح من أجل التكسب أو لغيره، فقد اختار له أسلوباً جميلاً.

وأسلوبه مصبوغ بألوان البديع والمحسنات التي تقوي الصورة، وتظهر إحساس الشاعر وذاته، نضرب مثلاً بأبيات يصف فيها الشيب، قال :

---

(1) الديوان، ص .

(2) المصدر نفسه، ص386.

(3) المصدر السابق، ص23.

أخلِقْ بغَائبِ رُشــدِه أن يَقــدَما وبواصلٍ مــن غَيِّــه أن يَصــرِما
وبما تساقطَ مــن زِنــادِ مَشــيبِه في حالِك الفَــوْدَيْنِ أن يَتضــرَّما
مثَلَت له مِرآتُــه فبكَــى وكــم مَثَلَــت لـــه مِرآتُـــه فَتَبَسَّـــما
لَحَــظَ السَّــوادَ مُودِّعــاً فأنابَــه نَعَساً ومالَ على البيــاضِ مُســلِّما
ما كان أوَّلَ مَن رأَى حَرَمَ النُّهى فنضَا بهِ بُــردَ الحَــرامِ وأحرمَــا
أمَّا وحَلْــيُ العَارضَــينِ ثِقافُــه فلـــنَحكُمُنَّ عليـــه أن يتَقوَّمـــا
كانَ الهَوى صُبحاً بليــلِ شَــبابه فدَجَى بإصباحِ المَشيبِ وأظلَمــا[1]

هنا يصف الشيب، وذاك البياض الذي خيم بعد السواد.

وما ترتب على ذلك من ذهاب زمن الشباب ونضاره، وموقع الملذات، وهو يصف هذا الزمن القادم وتباشيره، ولكن تحس نبرة حزن وشجن في هذه الأبيات وقد كساها أيضاً صدق عاطفي، وفيه كذلك وقفة يراها وكأنه يخاطب كل إنسان ألم به الشيب يجب أن يتخذ حداً للانقياد وراء اللهو وخطواته.

وأسلوبه لا يخلو من حكم، خرجت من نفس عانت الحياة وأدركت كنهها قال

خُذا مِنَ العَيشِ فالأعمارُ فانيــةٌ والدَّهْرُ مُنصَرِفٌ والعَيشُ مُنقَــرِضُ[2]

قال:

قوِّض خيامَك عن دارٍ ظُلِمتَ بها وجانــبِ الــذُّلَّ إنَّ الــذُّلَّ يُجتنَــبُ
وارحلْ إذا كانت الأوطانُ مَضْيَعَةً فالمَنْدَلُ الرَّطبُ في أوطانِه حَطَــبُ[3]

قال:

صرَفْتُ عَنِ الكثيرِ الوَفْرِ طَرفي وها أنــا للقليــلِ الــوَفرِ رَاجِــي
وكم من نُطْفَةٍ عَــذُبتْ وطابــتْ أحبُّ إلــيَّ مــن بحــرٍ أُجــاجِ[4]

---

(1) الديوان، ص399.

(2) المصدر نفسه، ص268.

(3) المصدر السابق، ص33.

(4) المصدر السابق، ص116.

قال:

صَريعُ النَّوائبِ مَــنْ لــم يكُــنْ جَليداً على الهَولِ منها صَــبورا[1]

وفي شعره اقتباس من القرآن الكريم:

قال:

ريَّا أخَاضَتْنا على ظمإٍ الهــوى من وعدِها الممطولِ لَمْعَ سَــرابِ

للهِ أعرابيّــــةٌ غــــدرَتْ بنــــا إنَّ النِّفــــاقَ سَــــجيَّةُ الأعــــرابِ

في هذين البيتين اقتبس من قوله تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)[2].

وقال:

جِبالُ أعدائِــه بَــرٌّ يَسِــيحُ بــه وَبــرُّه لامتِنــاعٍ عنــدَهم جَبَــلُ

فالصَّافناتُ حَشــاياه وإن قَلِقَــت والسَّابغاتُ وإن أوهَت لــه حُلَــلُ

في هذين البيتين اقتباس من قوله تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)[3].

قال:

قائــلٌ إنْ نُــذُرُ الشَّــيبِ بــدَت في عِذاريــه ومــا تُغْنــي النُّــذُر

وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: (فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)[4].

وقال:

صنائعُ اللهِ لا نُحصي لها عَــدَدا فَنَحْمَــدُ الله حَمــداً دائمــاً أَبــدا

وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)[5].

---

(1) الديوان، ص225.

(2) سورة التوبة، الآية (97).

(3) سورة ص، الآية (31).

(4) سورة القمر، الآية (5).

(5) سورة النحل، الآية (18).

واستقى من التراث العربي:

قال:

فكمْ ليلةٍ شمَّرتُ للــرَّاح رائحــاً وبتُّ لغِزلانِ الصَّريمِ مُغــازِلا[1]

غزلان (الصريم)

قال:

نحنُ أغراضُ خُطوبٍ إن رَمَــتْ حَيَّرَتْ في دِقَّــةِ الرَّمْــيِ ثُعَــلْ[2]

وثعل قبيلة اشتهرت:بحسن الرماية

متوشِّحينَ بكلِّ أبــيضَ مُرهَــفٍ نِيطَتْ حَمائِلُــهُ بــأبيضَ أزهَــرِ

نَطوي على المَدحِ الصُّدورَ وإنما تُطْوى على أمثالِ يُمْنَــةِ عَبْقَــرِ[3]

يمنة :برد يمانى وادى عبقر موضع مشهور عندهم بأنة كثير الجن

ويُلِمُّ مِن شَعَثِ العُلــى بشَــمائلٍ أحلَى من اللَّعَسِ المُمنَّــع واللَّمَــى

وفصاحةٍ لو أنَّــه نــاجَى بهــا سَحبانَ أو قُسَّ الفَصاحةِ أفحَمــا[4]

سحبان بن وائل وقس بن ساعدة اشتهرا بالفصاحة

وَقَتْكَ من عَثَرَةِ الرَّدى عُصَــبٌ إن عَثروا قلــتَ بالسَّــماحِ لَعــا[5]

(لعا) تقولها العرب كدعاء بمعنى أنعشك الله وأقامك من عثرتك

ومن أثر الثقافات الجديدة:

قال:

جَلَوْنا به الكاساتِ والأفقُ عاطلٌ إلى أن تَبَدَى الأفقُ في حُلَّــةٍ تُجلــى

فصافحَ منها الشَّرْبُ كلَّ مَشوقَةٍ عليها رِجالُ الفُرسِ يقدُمُهم كِســرى[6]

---

(1) الديوان، ص362،.

(2) المصدر نفسه، ص377-.

(3) المصدر نفسه، ص179..

(4) المصدر نفسه، ص400، ،.

(5) المصدر نفسه، ص 276،.

(6) المصدر نفسه، ص7.

وقال:

وروضةُ آذَرْيونَ قد زُرَّ وسْطَها نَوافجُ مِسْكٍ هيَّجَت قلبَ مُهتـــاجِ[1]

وورودها في الديوان حيث ذكرت في البحث، من أثر الثقافات الجديدة، فكل ما جاء به العصر العباسي تنويع الطعام واهتمام به والملابس المرصعة والأعياد غير المعروفة للعرب والمسلمين، وكثير الحديث اكتفى بضرب المثلين السابقين.

ولكن أسلوبه لا يخلو من الضعف في بعض المواضع ولكل شاعر علو وانخفاض، وكذلك في الديوان هناك هنات مثل الإقواء[2].

قال –

خَليليَّ إنَّ الغيــثَ أَوَّلُــه قَطْــرُ ونارُ الهَوى قد صار دُخانُها جَمْرُ[3]

ورغم هذا وذاك فأسلوب السري سهل، نهل من التراث العربي واستقى من الجديد ولبس ثوبه وتأثر بالقرآن الكريم، وكان أسلوبه سهلاً جميلاً، ووضحت صورته ومعانيه فجاءت الصورة الفنية تنبئ عن شاعر مقتدر أسلوبه أسلوب فني.

---

(1) الديوان، ص117.

(2) الإقواء: مثلاً أن تأتي بالفتح لأحرف الروي المكسورة، أو بالضم للمنصوب، وهكذا. انظر المرشد، ج1، ص43.

(3) وفي هذا البيت إقواء ينبغي لفظه (جمرَ) لأنها خبر لصار ولكن جاءت حركة الروي الفتح.

الخـــاتـــمـــــة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمده حمداً كثيراً أن يسَّر لي هذا البحث.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون فى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول عصر الشاعر والتعريف به ويتكون من ستة مباحث الثلاثة مباحث الأولى تضمنت عصر الشاعر والثلاثة الأخرى شملت حياته والتعريف به، وعلاقته بأبناء عصره وحنينه إلى مسقط رأسه، الفصل الثاني تناولت فيه الأغراض الشعرية التي نظم فيها شعره من وصف، ومدح، غزل، لهو ومجون، هجاء ورثاء، وأغراض أخرى.أما الفصل الثالث فقد احتوى على الدراسة الفنية ودورها في شعره، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أجملها في الآتي:

النتائج:

- نظم السَّرىّ شعره في معظم الأغراض الشعرية المعروفة وأكثرها وروداً الوصف. كذلك إبداعه في جوانب جديدة مثل الشعر الفكاهي.
- وضح شعره جانب اللهو والمجون، وما دار في العصر العباسي آنذاك (نهل من التراث العربي).
- كان محافظاً لنهج القدماء مع القدره على الاستنباط وتوليد المعاني.
- ونجده كذلك محافظاً لنهج الأوائل.
- لعبت الصورة الفنية دوراً بارزاً في شعره.
- نظم شعره على أحد عشر بحراً،التى جاءذكرها فى البحث هذا يدل على قدرته الفنية.ونجده أهمل البحورالباقيه وهى(المديد–المضارع– المقتضب– المجتث–الخبب)

- جاءته قصائده ومقطوعاته أكثرها من الكامل والطويل.
- أوزانه موفقة وموسيقاه عذبة وألفاظه جزلة.
- نجد أنه أكثر من التشبيه، والجناس، والاستعارات مع وجود المحسنات الأخرى.
- أسلوبه أسلوب فني.
- شهد له العلماء والكتاب بمكانته الأدبية المرموقة مثل الثعالبي، ابن النديم، العسكري وكبار أهل حلب وبغداد وما جاورها.

مع هذا هناك بعض الضعف في الديوان، أحياناً تأتي الصورة وكأنها تصوير عادي غير مصبوغ بالبلاغة ولا المحسنات، وأيضاً ترديد المعنى أو الصورة في كثير من القصائد ولكن هذا الترديد يشمل أوزان وقوافي مختلفة مثل وصفه للصياد والشبكة والسفن وغيرها.

التوصيات:

توصي الباحثة بدراسة الجوانب النحوية والصرفية في ديوانه، ودراسة ديوانه الآخر المحب والمحبوب، والمشروب والمشموم.

قدمت بحثي هذا وأنا ما زلت أحبو وأسأل الله أن يوفقني وأن ييسر امرى.. ولكم منى كل الرضا.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
(3) سورة آل عمران		
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ	14	44
(6) سورة الأنعام		
وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ..الخ	99	35
(9) سورة التوبـة		
الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ	97	160
(14) سورة إبراهيم		
الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	1	127
(16) سورة النحل		
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا	18	160
(20) سورة طــه		
وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي	29	5
(36) سورة يس		
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ	34	35
وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ	37	127
(38) سورة ص		
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ	31	160

(48) سورة الفتح		
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	10	130
(53) سورة النجم		
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى	1	38
(54) سورة القمر		
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ	5	160
(82) سورة الانفطار		
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ	8	117
(3)سورة آل عمران		
مِنهُ آياتٌ محكماتٌ هُنَ أُم الكِتاب	7	120

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة	44
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	145

فهرس الأعلام

العـلم	رقم الصفحة
أبا سعيد محمد	71
أبا أحمد طاهر الهاشمي	80
إبراهيم أنيس	138-36
ابو تمام	71
الجاحظ	95–152-126
الجرجاني	132–126–100–74
الخالدي : أبو بكر	-24-115
الخالدي : ابو عثمان	-25-115
الخالديين هما : أبوبكر وأبو عثمان	23
ابن رشد	119
ابن رشيق	120–35–100–95
الرقاشي	32
السفاح	5
السكاكي	126
النويري	50–48
سيف الدولة	70–53–18
الشمشاطي	111
شوقي ضيف	108–58–13–6–5
الصوبري	19
العسكري	136–75–21
أبو علي: سيف الدولة المداني	32

قدامة بن جعفر	95-42-35
كشاجم	40-19
المتنبي / أحمد بن الحسين	75-73
المراغي أبو بكر	105-96
أبو نواس / الحسن بن هاني	90-87
ابن هلال : إبراهيم بن هلال	100-26
ابي الهيجاء	6
الوزير المهلبي	53-25-19
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	87
ابو اليقظان	89

فهرس المراجع و المصادر

(1) القرآن الكريم:

(2) الآداب العربية في العصر العباسي الثاني ــ محمد عبد المنعم خفاجي.

(3) الاتجاهات الأدبية في الأدب العربي ــ أنيس المقدسي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م.

(4) اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي ــ محمد مصطفى مدارة ــ دار المعارف ــ القاهرة 1963م.

(5) الأدب العربي ومذاهبه ــ محمد مندور، ط3، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

(6) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

(7) الأسلوب ــ أحمد الشايب ــ مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة ــ ط6، 1966م.

(8) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ــ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق : د. عبد المجيد دياب، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ــ الرياض: 1406هـ ــ 1986م.

(9) الأعلام ــ خير الدين الزركلي، ط10، بيروت: دار العلم للملايين، 1992م.

(10) أمراء الشعر العربي ــ أنيس المقدسي ــ دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1967م.

(11) أنباء الرواة على أنباء النحاة ــ جمال الدين على بن يوسف الفقطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1369هـ ــ 1995م.

(12) الإيضاح في علوم البلاغة ــ للخطيب القزويني ــ تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1395هـ ــ 1975م.

(13) البداية والنهاية ــ إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط2، بيروت: مكتبة المعارف 1411هـ ــ 1991م.
(14) البديع : لابن المعتز، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاطي، ط1، دار الجيل ــ بيروت : 1990م.
(15) البلاغة تطور وتاريخ ــ د. شوقي ضيف، دار المعارف ــ القاهرة.
(16) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ــ على على صبيح ــ المكتبة الأزهرية للتراث ــ 1996م.
(17) البيان والتبيين ــ للجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب، تحقيق: فوزي عطوة، ط1، دار صعب، بيروت: 1968م.
(18) تاريخ الأدب : إدوارد براون ترجمة : أحمد كمال الدين حلمي، ط2، مطبوعات جامعة الكويت.
(19) تاريخ الأدب العربي ــ عمر فروخ ط1 دار العلم للملايين ــ بيروت ــ لبنان 1968م.
(20) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي د0حسن إبراهيم حسن ط1ــ دار الأندلسً بيروت 1967م.
(21) تاريخ الإسلام السياسي حسن إبراهيم ــ مكتبة النهضة العربية ــ القاهرة ط2 1965م.
(22) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية د.بشير هاشم رمضان ط1 ــ بيروت ــ دار المدار الإسلامي .
(23) تاريخ الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 ــ دار المعارف ــ القاهرة .
(24) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ط2 أحمد إبراهيم دار الحكمة بيروت تتمه الإعلام.
(25) التصوير الفني فى القرآن الكريم: سيد قطب دار الشروق ــ بيروت 1982م.

(26) التيارات الأجنبية فى الشعر العربي ــ عثمان موافى ــ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1973م.
(27) تيارات ثقافية بين العرب والفرس أحمد الحوفى ــ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
(28) الثقات : أبى حاتم محمد بن حبانى البستي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ ــ 1998م.
(29) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها: صالح بيلو، ط1، مكة المكرمة، 1408هـ ــ 1988م.
(30) حديث الأربعاء ــ طه حسين ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ 1952م.
(31) حركة التجديد في العصر العباسي : محمد عبد العزيز الموافي، ط6، دار غريب ــ القاهرة.
(32) حصار بغداد في العصر العباسي، حسين أمين، مجلة المؤرخ مج 23 ــ عدد 2 سنة 1990م.
(33) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي ابو خليل، ط1، دار الفكر، دمشق ــ 1994م.
(34) الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ــ أحمد زكي ــ دار المعارف ــ مصر 1971م.
(35) الحيوان ــ للجاحظ ــ عمر بن بحر بن محبوب شرح عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الكتاب العربي 1969م.
(36) الخصائص ــ أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، ط2ــ دائرة المعارف الإسلامية.
(37) دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت: 1995م.
(38) الديارات ــ أبي الحسن على بن محمد ــ تحقيق : كوركس عواد، ط2، مكتبة المتنبي، بغداد 1996م.

(39) ديوان أبو فراس الحمداني، تحقيق عبد الجليل حسن ــ مكتبة الأقصى، عمان : الأردن 1981م.
(40) ديوان بن المعتز ، شرح يوسف شكري، ط1، دار الجيل، بيروت.
(41) ديوان دعبل بن على الخزاعي، مجيد طراد، دار الثقافة، بيروت: لبنان.
(42) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح محمود طه ، دار الفكر، بيروت: 1995م.
(43) ديوان السَّرىّ الرفا، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1996م.
(44) ديوان الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان.
(45) ديوان كشاحم (محمد الحسين) تحقيق: عبد الواحد شعلان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1997م.
(46) ديوان المتنبي احمد بن الحسين، أبو الطيب المتنبي، ط2، شركة البابي الحلبي، القاهرة.
(47) ديوان المحب والمحبوب، ط1، دار الجيل، بيروت: لبنان.
(48) ديوان المعاني ــ أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد محمد قميحه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1981م.
(49) الرثاء ــ شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر.
(50) الرثاء في الشعر الجاهلي : يحي الجبوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م.
(51) رسائل في اعجاز القرآن الكريم ــ محمد خلف ومحمد زغلول سلام، ط2، دار المعارف ــ القاهرة ــ 1974م.
(52) زهر الربيع ــ أحمد الحملاوي، تحقيق مجدي فتحي عبد السيد، المكتبة التوفيقية، مصر.
(53) سر الفصاحة ــ لابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1982م.
(54) سير أعلام النبلاء ــ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(55) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ــ شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م.
(56) شعر الحرب في أدب العرب ــ زكي المحاسني، دار المعارف ــ مصر ــ 1961م.
(57) شعر الطبيعة في الأدب العربي : سيد نوفل، ط2، دار المعارف، القاهرة: 1952م.
(58) الشعر العباسي الرؤية والفن ــ عز الدين إسماعيل، دار المعارف، مصر: 1980م.
(59) الشعر العباسي نحو منهج جديد ــ يوسف خلد، دار غريب للطباعة والنشر ــ القاهرة.
(60) الشعر العباسي الأُسس الجمالية. عز الدين إسماعيل ــ المكتبة الأكاديمية ــ 1994م.
(61) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ــ سعود محمد عبد الجبار ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت: الطبعة الأولى، 1981م.
(62) الشعر والشعراء ــ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1962م.
(63) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ــ أبو النهر إسماعيل بن حماد الجوهري ــ تحقيق: عبد الغفور عطا، ط2، دار العلم للملايين ــ بيروت: 1984م.
(64) صحيح مسلم للإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بشر الإمام النووي ــ دار الفكر ــ القاهرة: 1989م.
(65) الصناعتين ــ أبو هلال العسكري، تحقيق : مفيد قميحه، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1320هـ ــ 1971م.
(66) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع، دار الفكر العربي اللبناني، 1986م.

(67) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور ــ دار الثقافة للطباعة ــ القاهرة: 1974م.
(68) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ــ مكتبة الأقصى، ط2، 1984م.
(69) ضحى الإسلام ، أحمد أمين، كتب مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة.
(70) طبقات فحول الشعراء ــ محمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ــ القاهرة.
(71) العصر العباسي الأول ــ د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف ــ مصر: 1996م.
(72) العصر العباسي الثاني ــ شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة: 1996م.
(73) عصر الدول والأمارات : شوقي ضيف، ط4، دار المعارف ــ القاهرة.
(74) العمدة في محاسن الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين، عبد الحميد طه، بيروت: دار الجيل، 1401هـ ــ 1981م.
(75) عيار الشعر ــ محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عباس عبد الستار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1982م.
(76) الفخري في الآداب السلطانية، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ــ بيروت ــ دار صادر للطباعة، 1386هـ ــ 1966م.
(77) فصول في الشعر ونقده ــ شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
(78) فن المدح وتطوره في الشعر العربي ــ أحمد أبو قحافة، ط1، دار الشروق ــ القاهرة: 1962م.
(79) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة.
(80) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر 1965م.

(81) الفهرست ــ أبي إسحاق إبراهيم بن النديم، ط2، دار المعرفة، بيروت: 1997م.
(82) في النقد الأدبي : شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1962م.
(83) القافية في العروض والآداب، د. حسنين نصار، دار المعارف، القاهرة: 1980م.
(84) القاموس المحيط ــ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: أنيس محمد الشامي، القاهرة: دار الحديث 2008م.
(85) القصيدة المادحة ومقالات أخر ــ عبد الله الطيب، ط2، دار الأصالة ــ الخرطوم: 2004م.
(86) لسان العرب ــ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط1، بيروت: دار صادر للطباعة، 2000م.
(87) اللغة الشاعرة ــ عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1960م.
(88) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ــ د. عبد الله الطيب، ط2، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1979م.
(89) مروج الذهب ومعادن الجوهر ــ للمسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، المكتبة التجارية بمصر .
(90) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ــ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ــ تحقيق محي الدين عبد الحميد ــ عالم الكتب، بيروت: 1317هـ ــ 1947م.
(91) المعجم الإسلامي : إعداد أشرف أبو الدهب، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2002م.
(92) معجم البلدان ــ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ط2، بيروت: دار صادر للطباعة، 2007م.
(93) معجم قبائل العرب ــ عمر رضا كحالة.

(94) معجم المؤلفين، تراجم مصنعي الكتب العربية ــ عمر رضا كحالة، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1414هـ ــ 1993م.
(95) المعجم الوسيط . إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1962م.
(96) مفتاح العلوم ــ للسكاكي. دار الكتب العلمية بيروت، ط2.
(97) ملامح الأدب في العصر العباسي، عبد الهادي عبد الله عطية ــ جامعة الإسكندرية ــ مكتبة المعرفة.
(98) منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد الحبيب، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1986م.
(99) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، تحقيق أحمد صقر ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ 1960م.
(100) الموسوعة العربية الميسرة.الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط2، بيروت: دار الجيل، 2001م.
(101) موسيقى الشعر العربي ــ د. إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية 1965م.
(102) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغريردي الأتابكي ــ ط1، وزارة الثقافة، القاهرة.
(103) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ــ أحمد بن محمد التلمساني المقري ــ تحقيق حسان عباس، دار صادر، بيروت: 1967م.
(104) النقد الأدبي : محمد غنيمي هلال. دار العودة، بيروت: 1987م.
(105) النقد الأدبي ــ بدوي طبانة ــ مطبعة مخيمر بمصر 1954م.
(106) نقد الشعر ــ قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ــ القاهرة : 1962م.
(107) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط1، دار الكتب المصرية ــ القاهرة.

(108) الوساطة بين المتنبي وخصومه ــ للقاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، ط3، القاهرة، 1951م.
(109) الوصف ــ لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف ــ القاهرة: 1960م.
(110) وصف الطبيعة عند كشاجم، صالح علي ــ مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة الأردنية، 1999م.
(111) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ــ أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تحقيق: يوسف على طويل ومريم قاسم طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
(112) يتيمه الدهر ــ لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ــ المكتبة التجارية ــ مطبعة حجازي ــ القاهرة.

فهـرس الموضـوعات

الموضـــــوع	الصفحة
الاستهلال	أ
الإهـداء	ب
الشكر والعرفان	ج
المستخلص باللغة العربية	د
المستخلص باللغة الإنجليزية (ABSTRACT)	هـ
المقدمة	
الفصل الأول **عصر الشاعر و التعريف به**	1
المبحث الأول : **الحياة السياسية**	5
المبحث الثاني : **الحياة الاجتماعية**	10
المبحث الثالث : **الحياة الثقافية**	13
المبحث الرابع : **التعريف بالشاعر**	16
المبحث الخامس : **العلاقة بينه وبين الخالديين**	23
المبحث السادس : **الحنين إلى الموطن**	27
الفصل الثاني **الإغـراض الشعـرية**	34
المبحث الأول : **وصف الطبيعة**	35
المبحث الثاني : **المـــدح**	68
المبحث الثالث : **الغـــزل**	83
المبحث الرابع : **اللهـو والمجـون**	87
المبحث الخامس : **الرثـــــاء**	95
المبحث السادس : **الهجـــــاء**	100
المبحث السابع : **أغـراض أخـــرى**	103

الفصل الثالث **الصورة الفنيــة**	116
المبحث الأول : **الدراسة الفنية**	117
المبحث الثاني : **الموسيقى الشعرية**	138
المبحث الثالث : **بناء القصيــدة**	145
المبحث الرابع : **اللغة والأسلـوب**	154
الخاتمــة	163
الخاتمة	164
النتائج	164-165
التوصيات	166
فهرس الآيـــات	167
فهرس الأحاديث النبوية	169
فهرس الأعـــــلام	170
فهرس المراجع والمصادر	172
فهرس الموضـــوعات	181